

ر. عبد الكريم برشيد

الحكايات الأخيرة

نص مسرحي



مكتبة
الأدب
المغربي

احتفال مسرحي في نفس واحد

محمود

تقديم : الدكتور عبد الرحمن بن زيدان



د. عبد الكريم برشيد

الحكايات الأخيرة

نص مسرحي



احتفال مسرحي في نفس واحد

تقديم: الدكتور عبد الرحمن بن زيدان

EDISOFT
Edition



إديسوفت
لنشر

24، زنقة القاشي الزموري الأحباس - الدار البيضاء
24, Rue El Kadi Zemmouri - Habous - Casablanca
الهاتف: 022 44 46 43 - الفاكس: 022 44 91 08/48
Email: edisoft@menara.ma

إسم الكتاب : الحكواتي الأخير
المؤلف : عبد الكريم برشيد
الناشر : مؤسسة «إديسوفت»
لوحدة الغلاف : الفنان عبد الحفيظ مديوني
التوزيع : المكتبة المحمدية
تنفيذ الطباعي : مطبعة النجاح الجديدة
توزيع الأولى : 2004-2005
رقع الإيداع القانوني : 2004/2197
ترقيم الدولي : 9954-406-67-0

جميع الحقوق محفوظة

«إهداء»

إلى كل الحكواتيين المجانين بعشق الحقيقة
إلى إخوتي أحفاد شهرزاد
ضحايا سيف السياف، وسوط الجلال
إلى المتكلمين في زمن منع الكلام
وإلى المفكرين في زمن منع التفكير
وإلى المختلفين والمخالفين في هذا الزمن الصعب
زمن منع الاختلاف الحكيم

الحكواتي الأخير

دلالات الاحتفال في عالم اللعب بالأقنعة

الدكتور عبد الرحمن بن زيدان

المرجعية التراثية لمسرح عبد الكريم برشيد

تحتفل الكتابة الاحتفالية عند عبد الكريم برشيد بتنوع المواضيع والحالات والمعاناة التي تحرك لديه لذة التفكير والتأمل والوسن للتفكير بصيغة الجمع أثناء مقاربة عمق هذه الاحتفالية، وأثناء تفعيل مهاراته في فعالية الرؤية واللغة وزمن الكتابة فيها، وأثناء إعطاء هذا التنوع خاصيته الدالة على إتقان بناء النص المسرحي بمهارته التي راكمها من سنة 1970 إلى الآن.

التفكير بالجماعة، وبالعالم وبالخاص وبالعام، يعني التفكير بشروط الكتابة المسرحية وقوانينها وخصوصياتها التي انتقلت في نصوصه إلى خصوصيات أخرى صار بها يتميز في عالمي التنظير والممارسة المسرحية في الوطن العربي، لأنه أعطى لعمق التراث، ولنبضه الحي حيوات أخرى جاءت ثمرة تأويلات وقراءة أخرى من الداخل، بما حقق انزياحاته عن الأصل وعن

العمق وعن الدلالات التي كانت تكون هذا التراث سواء منه العربي أو العالمي.

وبقراءة كل مسرحيات هذا الكاتب بمفارقاتها وتيمتها وتجديدها في الكتابة المسرحية العربية، نلقي أنفسنا أمام إصرار شعوري ينتقي به رموزه التراثية قصديا لكتابة نصوصه المسرحية، لأن فيها يسكن العالم والحالات والأحداث التي يبحث عنها لمساءلتها ومساءلة دلالاتها، لأنه يقنع نفسه دائما أن في هذا التراث سيجد ما يسعفه بإعطاء الشرارة الأولى في الكلمة الأولى لبناء علامات أخرى في لغة النص الجديد. فمن التراث يكون البدء والبدية، ومنه تكون الولادة الأولى للفكرة وللحالات وللدراما، ومنه يكون ظهور أسئلة الإبداع، وأسئلة كيفية بناء الشخصيات بدلالات العصر، وبدلالات الانكسار الذي هو انكسار الزمن في الأزمنة المكسرة، وهذا ما يجعل الكاتب برشيد وسيطا بين ماضى ولى بمآسيه، وبين واقع يعيش خلله في رؤيته.

وبين الزمنين المتشابهين في حالات الخلل، يكون فعل الإبداع المسرحي عند برشيد توليدا للجديد، سواء أكان توليدا شعوريا قصديا، أو كان لا شعوريا أثناء فيض كلام النص بحالاته وحواراته ومونولوجاته الجارحة أثناء كتابة زمن وتاريخ النص المتخيل.

بهذا الفيض، يشغل برشيد كل أشكال التراث في مسرحه، ويوظف رموزه، وينظر لذلك في البيانات الاحتفالية، ويدافع على حيوية التراث الشعبي العفوي و فرجاته التلقائية، باعتبارها حياة في ذاكرة، وباعتبارها — أيضا — ذاكرة في حياة الوعي الجمعي للمجتمع الإنساني. في هذه الذاكرة

وجد برشيد عناصر هامة لكتابة مسرحه، ووجد فيها سندا قويا لتحسين وجود هذا التراث في فضاء نصوصه الاحتفالية، حفاظا عليه كخزان احتياطي به يقدم إمكانات الوعي بالعمل الفني ليعيش تجارب إنسانية بهذا التراث الذي يحضره بقوة وبشفافية وبشعرية احتفالية في كل النصوص التي كتبها. والتعامل مع التراث، وتوظيفه بشكل قوي في الكتابة الاحتفالية، يؤكد أن برشيد كان حفيلا الإنتاج، غزير الكتابة والجدل والنقد، له خطاب احتفالي وهاج تكون الكتابة فيه تحتفل النظرية، وبالنظرية تتضح طرق وسبل أسلوب الكتابة، بالنظرية شاد برشيد نصوصه اعتمادا على النظرية الاحتفالية، وبنى بها الاحتفالية قبل وبعد تشييد نصوصه المسرحية التي استخلص فيها التراث العالمي حتى صار التعامل مع هذا التراث تحفة وخصية لكتابته، لأنه كان يعرف كيف يداور هذا التراث ويعالجه بمنظوره الخاص حتى صار كاتباً مسرحياً واسع الذراع، مقتدراً على إبداع مغايره، لا يستذنب ما قاله الآخرون، ولا يتبعه، يستخرج الكلام من الكلام، ويستو لد الخطاب من خطابات النصوص التراثية، ومن السرديات العربية ليحرره - بعد ذلك - من الدجى ومن ظلمة الأزمنة التي ولت ليدخله زمنا أو أزمنة إبداعية وهاجة.

هذا التعامل مع التراث، جعل كتابة النصوص عند عبد الكريم برشيد تنطق بمرجعيات التراث الذي تم تحويله وتوظيفه بمنظور جديد هو رؤية الكاتب لعالمه ولمجتمعه وحالاته في ذاته، فالتصوف في مسرحية الزاوية، يصير قراءة ونقدا للمسح والتشويه الذي لحق الفكر الديني بالخرافات والشعوذة والدجل، وعنزة العبي البطل الجاهلي المغوار يصير إنسانا واهنا ضعيفا

يعيش في مسرحية " عنترة في المرايا المكسرة " زمن الانتكاسات والانحزافات العربية، إنه بطل مندرح لا حول له ولا قوة لمواجهة أسباب الانكسار الذي يحمله معه لرأب الصدع الموجود في كل بنيات المجتمع العربي المعاصر. وفي مسرحية فاوست والأميرة الصلعاء" وفي "امرؤ القيس في باريس" تعاد قراءة أسطورة فاوست لغوته ،ومسرحية "هاملت" لشكسبير لكتابة التراث المسرحي بالحالات الإنسانية المشتركة بين المبدعين وكتاب المسرح العربي، ويحضر أيضا "ابن الرومي بتطيره وبتشأومه في زمن الاحتكارات التي تريد تحويل المدينة والعلاقات المعقدة فيها إلى بيع وشراء وعرض وطلب يفرغ الناس من مساكنهم لإقامة المركبات السياحية ، ليرمى الناس — بعدها — ومنهم ابن الرومي خارج مساكنهم ومآويهم، كما يحضر المتنبي وقصة لونجا والمسيح وجحا والشطح الصوفي والصعاليك ، وتحضر المدينة الإسمتية في " الناس والحجارة " رمزا يدل على غياب المدينة /العمران بناسها وفكرها وفنونها وثقافتها ودفعها للإنساني الحي ، كما يحضر الدجال والقيامة والهدهد وأسطورة نرسييس في مسرحية الدجال والقيامة ، كما نجد تكتيفا للسرد العربي من مسرحية ألف ليلة وليلة ، ونجد التراث الشعبي في رمز البوهو والمسيح وحربة ، ونجد أسطورة " أطلس " في أطلس المعاصر في مسرحية "عرس الأطلس " .

إن أشكال حضور التراث والتعامل معه برؤية إبداعية احتفالية، هو ما يعطي لمسرح عبد الكريم برشيد انفتاحه القوي على التراث المغربي، والعربي والعالمي، لأن به كان برشيد يقرأ عجيبيه، ومنه كان يمتح غريبه، ومنه كان يستخرج الرموز الدالة بحالاتها على وجود شبيه لها في حالات الكاتب نفسه

في الحالات المعاصرة التي يجيهاها لأنها حالات تكونت في زمن مدرّوس
بجنون، لأن كلمة الحق التي كان ينطق بها المسرح المثقف قد أحرست، وأن
الحكواتي الشعبي سكت ودرّس ولم تعد له القدرة على الحكّي بعد أن
طحنه التغير المشوه للواقع المشوه، وبعد أن دحس التراث بما ليس من طبيعته
ولا من روحه ولا من جوهره. لقد دخل نهار المسرح عند عبد الكريم برشيد
إلى ليل دحس شديد السواد، وذلك حين وجد أن الحكواتيين الحقيقيين
الذين كانوا يربعون ساحة الفنّون، وكانوا يقيمون فيها باطمئنان وأمان، لم
يعودوا مقبولين في واقع يرفضهم، ويحول أدوارهم إلى نسيان، وينسيهم
مرجعياتهم وأشكال تعبيرهم، وهذا ما أراب برشيد بعد أن رابه واقع المسرح
والتراث الشفوي والفرجات الشعبية والاحتفالات التلقائية التي ما عادت
كما كانت، ولم يعد لها وجود أصيل هو حقيقة وجود تاريخها وذاكرتها،
وفي مسرحية "الحكواتي الأخير" راز برشيد خبرته، وجرب مقدرته
وقدراته المتراكمة في التجريب المسرحي لسبر غور نفسيته المكلومة
كحكواتي نزل ساحة الإبداع ليجد أن عوامل الإقصاء والتهميش لما هو
ثقافي أكثر من عوامل الاستمرار في هذا الإبداع، ووجد أن الناس بعد أن
كانوا يتدأكمون ويتدافعون على الفن الشعبي في الساحات الشعبية، صاروا
يرون أن الواقع رتأ كل الحكواتيين، وأن ساحة الاحتفال صارت في عداد
الذي كان، وهو ما جعله يبدأ بتقديم صورة الهدم الذي طال الساحة كبداية
عنيفة تبدأ بها المسرحية" من الخلف تأتي أصوات الرافعات والشاحنات،
ونسمع أصوات الهدم والبناء، مما يوحي بأن الساحة مهددة بالهدم، وبأن
العمران يزحف على الإنسان".

لقد زحل الفن الشعبي عن مكانه وتنحي، زحلته سياسة لا ثقافية، وأبعدته عن مهده، لأن الواقع عنت وفسد، وسمح الناس التراث المغربي وقبحوه، وهو ما دفع بعبد الكريم برشيد إلى أن يخرج هذه الحالات من صمتها ليعبر عنها وعن الزلة وضيق النفس، ويقدم معاناته في الزمعة والردة التي اعترته وأقلقتة كشهادة شهيد الحالة، شهادة كانت لذكها في هذا الوقت المعلوم موصولة إلى التغيرات السياسية في المغرب وفي العالم، فكان وقت كتابة هذه المسرحية بنفس واحد متعدد الأنفاس والرعادات والغضب.

نفس واحد بأنفاس درامية متعددة

إذا كان عنوان المسرحية هو "الحكواتي الأخير" فهذا يعني وجود حكواتيين سابقين يرتبون في المسار الإبداعي المسرحي في طليعة البدايات التي أرخ بها برشيد بدايات الفعل السردي لديه، ودشن بها اهتمامه بأشكال الحكوي في كل مسرحياته، وحفل بأصناف الحكواتيين الذين يتقنون لعبة السرد الشفوي، ويتقنون لعبة الكتابة بتقنيات الحكوي بالأنفاس وبالنفس المتقطع الذي تلملمه الكتابة في نفس واحد.

وجود الحكواتي الأخير يعني وجود الحكواتي الأول، ويعني وجود التابعين للأول، ووجود سيرورة في الترتيب، ووجود تتابع بين نقطة الانطلاق ونقطة الوصول التي أرادها برشيد أن تكون وصولاً بهذا الحكواتي الأخير إلى سقطته التراجيدية الغير مسؤول عنها لأن الظروف والظرفية المتوترة هي سبب هذا السقوط.

ويسم الكاتب هذه المسرحية أنها احتفال مسرحي في نفس واحد، ويقدم شخوص الاحتفال الفاعلة في زمن الفعل الدرامي أنها ذات وظائف محددة بعلاماتها وبدلالاتها وبحيويته المستمدة من قدرة الكاتب على تلوين اشتغالها بما يريد لها أن تكون في هذه العلامات وهذه الدلالات. هذه الشخصيات التي عدت الأنفاس في النفس الواحد كانت متمثلة في نور الدين الحكواتي وحرية وشدوان المغني وميمون الكاتب العمومي وطارق بن طارق المرشد السياحي.

ويبرز تعدد الأنفاس في نفس المسرحية في أحد عشر نفسا، كل نفس منها يشور بلغة الكاتب إلى حالات التحول التي عرفتتها كل شخصية، ويومئ إلى عالمها بلغة شاعرة يقرب بها الحالة التراجيدية من الحالة المأساوية لتمظهرات سقوط فن شعبي أمام المد العنيف لمظاهر صناعة الفرجات كسلع للاستهلاك داخل المؤسسات المغلقة عوض الحفاظ عليها كتراث إنساني شفوي في الساحات العمومية المفتوحة تحصيلنا للقوالين والحكواتيين الشعبيين من الضياع والزوال.

وتناول هذا الموضوع في هذا النص يعني أن الكتابة الاحتفالية تريد أن تستنطق الغائب أو المغيب في هذه الحالات، وتريد التعرف على الكيفية التي ازدرهم بها الواقع هذه الفنون وابتلعها ليجعل منها ذكرى بعيدة عن زمانها ومكانها وأصالتها. وما تتبع ترجمة الأنفاس إلى كلام وإلى لغة درامية إلا بهدف تتبع الزفرات والشهيق واحتباس الأنفاس في كتابة هذا النص الاحتفالي، وهو تعدد نابع من مقارنة التغيرات التي طالت وظائف هذه الشخوص التي انتقلت مضطرة من الحالة إلى نقيضها، ومن البهجة إلى نسيم

والملل والهروب من أشكال الإجهاز على الواقع الذي كانت تتنفس فيه بتلقائية وحرية للتعبير والإفصاح عما يمكن الإفصاح عنه في المغلق والمسدود والمراقب.

وفي حكاية الساحة بعد الاستهلال، تكون صرخة اللغة احتجاجا على اغتيال المكان، وقتله بعد أن كان حيا يرزق بحيويته وبحيوية الناس فيه وحياة الفنون في قلبه وفي جنباته، وهو ما تم التعبير عنه في هذا النفس على لسان الحكواتي: (بعد أيام يا أولاد الحلال، ستصبح الساحة غابة مرعبة، من يدخلها مفقود، ومن يخرج منها مولود، غابة من الإسمت والحديد.

ياالله. ماذا أقول لكم ؟ إنكم تسمعون ولا ترون، فكونوا شهودا على ما يحدث ويجري، إنهم يغتالون الفضاء الحي، ويغتالون اللقاء، ويغتالون الإنسان، ويغتالون الفرح، ويغتالون الاحتفال والخيال).

الكاتب هنا، بتعدد أنفاسه التي تلاحق سقوط الفضاء، يعطي للساحة معناها في الغياب وفي الحضور أو التغييب، ويقدم مأساة الغياب بالكتابة عن تاريخ المكان على لسانه وعلى لسان الشخصوس التي ستكون خطاب التعدد في النفس الواحد الذي هو الحياة بأيامها ولياليها ولحظاتها البكر، ولحظاتها الكالحة.

إن السقوط هنا سبب مصحاة الكتابة الاحتفالية والاحتفال، وهو الداعي إلى الصحوة واليقظة التي اشتال فيها الكاتب الغم والههم ليعلن عن مصير أناس ومكان وعلاقات وتاريخ، لقد كثر الغم الكاتب واشتد اليأس عليه، وبعد المعاناة صار الحكواتي هو الكاتب، وصار الكاتب هو الحكواتي

الأول والأخير الذي صومع أحزانه، وجمع حالات اليأس ليصرفها في الكتابة عن الساحة وعن زمن الفن الشعبي فيها.

(أيها السائر في دروب الأيام والليالي، انتظر، خفف الخطو، وتمهل، واسمع حديث الحكواتي. أنت مثلي. ومثل كل الناس جميعا، تعشق الماضي الذي كان، وتقول - بينك وبين نفسك - ليته يعود جديدا، ذلك الذي كان، إنك تخشى الآتي، والآتي لا يخشى أحدا، وهو دائما بلا أمان، وبلا ضمان، أليس كذلك أيها الإنسان ؟).

ومع المحتفلين المتخيلين في هذا النص، يعيش هذا الحكواتي مع جمهوره الوهمي في لعب مسرحي يفصح عن أسرار بناء الاحتفال والوهم والخيال زمن الاحتفال في هذه الساحة التي هي رمز حي تمت شخصته ليصير علامة دالة على حياتها وموقعها وتاريخها لأن هناك من يعرف كيف يبني الرمز والدلالة في هذه الحياة، ويعرف كيف يرحل بخياله إلى الأفاصي ليقرب الأحداث، ويغريها ليتنفس بأنفاس التخيل (أنا الحكواتي. أحكي وأحكي، وأهدم وأبني، وأخرج وأدخل، وأغيب وأحضر، وأهزم وأنتصر، وأرقص وأغني، وأرسم وأنحت، وأحلق في السماء، وأغوص في الماء.

أنا الحكواتي. رجل منكم، ومن هذا الزمن، ولكنني أملك أن أرحل بعيدا، وأن أعيش كل المخلوقات، وأن أساكن كل الناس وكل الأزمنة، أدعوكم لأن تركبوا معي بساط الريح).

إن مسار تعدد الأنفاس وتكونها واشتغالها باللغة، هو في حقيقته تعدد في أزمنة الرحلة في حياة كل شخصية حكواتية احتفالية، وهو سفر بين أصالة فن في طريق الزوال، وحضارة معاصرة هي في طريق التكون، وبين الزمنين.

تحضر " أنا " الحكواتي صوتا دراميا يريد أن يحيط بكل وظائف الحكيم، ليحيط بمهام الحكواتي الذي هو الكاتب نفسه صانع الأحلام والأوهام والكلمات والحوارات والجمال. وبوظائفه الجديدة يريد أن يكون معاصرا بإبداعه حين يربط الماضي بالحاضر، ويستعلم من الساحة مظاهرها الفرجوية الفانية وما قام على أنقاضها، وينقل ما في الساحة إلى عالم الخيال والمحال عندما يحول المعطى، ويولد الدلالات المعاصرة التي يرويها بأنفاسه لبناء أنفاس اللغة (أنا حكواتي معاصر، جئت من الأحياء المهمشة، أركب دراجة هوائية في الفراغ ألفي وجودي، أو ما يشبه وجودي، وفي الخيال أبني عمارات كينونتي وهويتي.

في فضاء الحكاية تجدون عنواني، إنني أسافر وأرحل، بين حدين متحركين، ومتقاطعين ومتداخلين، حد الماضي الذي لا يمضي، وحد هذا الآن الطائر والمتبخر، في الحلم مسكني، وفي الجنون صراطي، وصراطي ليس مستقيما، وهو أرق من شعرة، وأحد من شفرة السيف.

أنا وحدي الذي أخرجت الناس من بيوتهم، أنا الذي شغلهم عن ما لهم وتجارتهم، أنا الذي سحرقهم بالكلمات وأغنيتهم بالكلمات وأطرقهم بالكلمات).

وتعدد الأنفاس في النفس الواحد في كلام الحكواتي الأخير، هو كلام فيه من الأصالة بقدر ما فيه من المعاصرة، وفيه من الزمن الفائت بقدر ما فيه من العمر القادم، وفيه من لعبة الخيال والواقع بقدر ما فيه من الهزل والتناص وإحضار أبيات من الشعر الأندلسي والشعر الشعبي. إن فعل الحكيم والتشخيص والهزل، والتنظير للاحتفالية من داخل هذا النص، معناه امتداد

النظرية الاحتفالية في تعدد الأنفاس، ومعناه تقديم مفهوم الحفل عندما يجيب الحكواتي عن الأسئلة التي يطرحها على نفسه، أو يرد عن الأسئلة الصادرة عن الشخصوص الوهمية التي تريد أن تعرف أكثر عن زمن ومكان هذا الاحتفال، خصوصا الأسئلة التي تبحث بإيجائها المضمرة عن العلاقة بين الحكي وفعل الحكي وزمان الحكي، وعلاقته بالإبداع الدرامي كروية للزمن والمكان اللذين يتم فيهما فعل التخيل والإبداع واستشراف أفق الكتابة في أفق الأجوبة التي تحدد معنى هذه العلاقة.

"تسألني عن زمن الحكي أقول الآن.

وتستفسرون عن مكانه أقول هنا.

وتسألون عن المعيدين والمحتفلين معنا، أقول: نحن الآن، هنا، كلنا، نعم، كلنا". ويقدم هذا التنظير للحفل والاحتفال من داخل الكتابة النصية، زمن الكتابة، وزمن معاناة الكاتب الذي أصبح ضجورا هلوكا يريد أن يحرر ما أصفده الواقع المتحول، ويعتق ما قيده كل مؤسسة تسهم في الكسالة وفي تكريس حالات البطالة بإقصاء أصالة الساحة من أصالة المدينة، ومخوفون القول وفنون الأداء من شعرية الإنشاء والإبداع.

إن الواقع الأعفط المجنون، لا يخرس الكلام، ولا يصمت التأمل، ولا يسكت السؤال، إنه يحفز الكتابة على الظهور لتصير هي عين العقل ويصيره وبصيرتها وبصرها للتعامل مع التراث الشفوي في الدراما ملء جنبات الساحة المتخيلة في النص الاحتفالي بكلاميين وقصاصين يعرفون كيف يؤثثون كلامهم جمالا وفنا وحيوية، وهو ما أعطى ساحات الفرجة في المدن المغربية العتيقة أسماء ارتبطت بتاريخ المسرح الشعبي وبزمن الحكي والتمثيل

والحلقة والغناء والجمهور وأعطاهما حضوراً احتفالياً بالحكايات والقصص المستمدة من التراث ومن فنون الارتجال ومن القدرة على التكيف مع الحالات المختلفة، وهو ما عمل عبد الكريم برشيد على تقديمه من خلال حكاية الساحة التي هي في بعض جوانبها حكايته الخاصة.

حكاية ساحة أم حكاية كاتب ؟

في مسرحية " الحكواتي الأخير " يقلص عبد الكريم برشيد المسافات بين التراث الشعبي والكتابة الاحتفالية، ويرسم أفق النص بتحويل الكلام الشفوي للحكواتين إلى نص مكتوب بمومه الخاصة وبمرجعياته في التجريب المسرحي في الكتابة المسرحية. واللافت للنظر أن كلام الحكواتي لا ينزل عن تجربة الكاتب وحياته ومساره الإبداعي، لأن الأفق الذي يرسمه كلامه مبني على هذا التبادل بين موقع الكاتب في خطاب النص ، وبين موقع الحكواتي في خطاب الكاتب ، الأول يريد أن يكون صاحب الصوت الأول في الاحتفال ، أما الثاني فيريد له الكاتب أن يكون صدى لصوته وهو يتحدث عن تاريخ الساحة في تاريخ الكاتب ، ويتحدث عن تاريخ الساحة شاكياً متحسراً على ضياع الزمن الجميل وضياع هفوهات الإبداع الشعبي . يقول الحكواتي " هذه شكوى العبد الضعيف إلى السيد العظيم في المقام الأعلى، وقد كتبتها خادماًكم ميمون، نيابة عن كل الضعفاء والمقهورين والمظلومين والمتشردين، لقد رميتها في الهواء، وطار مع الطيور في السماء، سلمتها ليد الريح لتفعل بها ما تشاء...

وهذه دعوى، وهذا تظلم، وهذا استعطاف، وهذا تذكير، وهذا تنبيه، وهذا توبيخ، وهذا عتاب، وهذا التماس، وهذا طلب للعمل، وهذه استقالة

من العمل، وهذا التماس للعودة للعمل، وهذه رسالة إنسان حائر. ما العمل؟".

"لقد عشت مع الناس أسمع نبضهم، وأكتب، أسود الأوراق البيضاء، وأتمنى أن يزول شيء من سواد هذه الأيام السوداء، وبنفس هذا القلم، وبنفس هذه الدواة والمداد، وبنفس هذه الآلة، وعلى نفس هذه الأوراق، يلتقي الناس بالناس، يلتقي كل شيء بأي شيء، تلتقي الضحكات والدمعات والدعوات واللعنات والحكمة والجنون، يلتقي الصادقون والكذابون والظالمون والمظلومون والحقيقيون والمزيفون".

إن ميزة الحكواتي — كالكاتب نفسه — لا يستسلم للضغوطات والإحباطات والمساومات، لأنه في تحديه للعالم بلغته يريد أن يتحدى أعصابه التعبانة المنهارة، ويريد تقوية إرادة الحكيم والحضور للإفصاح في كلامه عن حقيقة الذات والمكان وعلاقاته بالناس والخطباء واليساريين واليمينيين ومستغلي الدين من أجل مصلحتهم الخاصة، ثم رفضه لتجار الحروب وسماسة السلام.

إن الكاتب برشيد يختفي وراء شخصياته ليجعل كلامه هو كلام هذه الشخصيات وهي تتحدث عن تجربته التي لا تقل من الواقع، ولا تهرب من حديث الناس، ولا تصمم آذانها، لأنها تجربة قارئة وسامعة ومتأملة ومتألمة في سنوات الكتابة والقراءة والحياة مع الناس "سنوات طويلة وأنا أكتب وأقرأ، وأعيش بين الكتب والناس، وأصفق للخطباء، والأدعياء، وأهتف مع الهتافين المخدوعين، ضيعت أيامي، وضيعت مدادي ومداد رفيقي، وما هذا المداد لندي يسيل على أوراقه إلا دمي، أو شيء من دمي".

والضياع الرمزي للساحة هو الضياع الحقيقي للكاتب وللكتابة، والكاتب قبل الضياع، أوبعد ضياع حلم الكتابة كان برشيد يعمل على تعميق البعد الواقعي في خطاب الحكواتيين بعد أن ضاع العالم والوطن في عيوتهم، ولم يبق أمامه إلا آخر الحكواتيين الذي أراد أن يحتفل بـ " انهزامه النبيل" ويتحدث عن أجل الأيام في حكاية غريبة أمام ضيوفه لأن يعد نفسه " سفير الأوطان الأخرى "و" سفير الإنسان للإنسان و سفير هذا الزمن في كل الأزمان " لأنه حكواتي أخير تعلم من التاريخ العبر، وتعلم منه كيف يكون إنسانا؛ "من حقي هذه الليلة الأخيرة أن أحتفل، أحتفل باهزامي النبيل، يكفيني فخرا أن يكون الزمن عدوي، وأن تكون الأيام والليالي خصومي، إنني أدعوكم إلى حلقتي، فهل تقبلون دعوتي؟ وهل تقبلون؟ قولوا نعم، فمن حق المحكوم عليه، ساعة الرحيل، أن يكون له رجاء، وأن يسأل ما يشاء ". إن حد الألم عند الكاتب برشيد، هو حد الاستطاعة التي تدفعه إلى نقل الألم و الضياع إلى احتفال قائم مركزه كاتب تعلم من مرجعيات كثيرة قبل ضياع الكتابة وقبل وصولها إلى الباب المسدود، لقد تعلم كيف ينال علمه وثقافته بالقول والفعل، وتعلم كيف ينقل ذلك إلى الذوات الاحتفالية المتفاعلة والمنفعلة بكل ما يحيط بها من مرجعيات. ويحدد مساره التعليمي في مونولوج طويل أخرجه من الصوت الواحد، ومن المناجاة المغلقة ليدخله في تعدد الأصوات في صوته في حوار مع الشخصيات الوهمية التي تنقذه من الوحدة ومن قيود الصوت الواحد، وعندما يحدث هذه المرجعيات فإنه يقدم صورة ذلك في العملية التعليمية التي كونت عوالمه " لقد علمه التاريخ أن يكون إنسانا، وعلمته الطبيعة أن يكون شاعرا، وعلمه الجمال أن

يكون عاشقا، وعلمته المسافات أن يكون مسافرا، وعلمته الحروف أن يكون قارئاً، وعلمته الطيور أن يكون محلقاً، وعلمته المشاهد أن يكون مشاهداً وشهيداً، وعلمته الأيام أن يكون معيداً، وعلمته الأعراس أن يكون عريساً".

ومن تراكم المعارف، ومعرفة الذات ومعرفة العالم، ومعرفة أسرار الكتابة الاحتفالية، أراد برشيد أن يفلسف علاقاته بالكون، ويختار شخصه المنهارة في واقع منهار، كدليل على انهيار الرموز الشعبية التي هي أساس وجود الكاتب نفسه الذي فقد أحلامه وآماله في عصر البضاعة والسلعة في أوقات التبضع الحر. وبهذه الشخصيات بنى الرموز و ترجم هذه المعرفة دراميا إلى مأساة تتحدث عن مأساة الواقع. فكيف فعل برشيد وجود هذه الشخصيات في خطاب الحكواتي الأخير؟

لعبة الدمى والأقنعة في الاحتفال

أهم أشكال الحيل الفنية التي وظفها برشيد في كتابة هذا النص المسرحي هي توظيف الأجواء الكرنفالية الحية في الاحتفال لتخليص خطابه من كل مباشرة فاقعة، وإعطاء هذه الكرنفالية مقومات فنية أساسها إحضار الدمية في اللعب المسرحي بفرجة الأقنعة والدمى وعروس من قصب، وهي حيل أعطت ملامح جمالية وغروتيسكية حافلة بالإيحاءات والتقاطعات بين الواقع والأسطوري والخيالي والواقعي، فلعبة إخراج الدمية والقناع من صندوق الفرجة والعجب فيها تحويل لوجودها من كائن محايد جامد إلى عنصر فعال في حيوية نص مسرحي تحركه الموروثات الشعبية المغربية لجعل رمزها موجودا في مسيرة دلالية إيحائية تشكل الاحتفال في هذا الكرنفال

داخل ساحة ممسكة بخيوطه اللعبة، وتنشط فعالية الفرجة حين تعود إلى المنابع، وتنمط هذه الدمية وفق الشخصية المراد تقديمها وتقدم القناع كوجه حقيقي للتعدد في مستويات المعنى والاستعارة. وعلى لسان حربة يكون الحديث عن الأقنعة تعبيرا عن لعبة الوجوه والأقنعة في المجتمع: "حربة أو المسيح يلقي بالأقنعة للجمهور الوهمي".

"صدقوني، كل الأقنعة يا أولاد الحلال، مهما اختلفت، تبقى أقنعة عادية، عادية نعم، ولكنها ضرورية ومفيدة، خصوصا بالنسبة لمن يعيش مثلنا في كرنفال دائم، وكان الكرنفال أضواء وألوانا وأصباغا ودجلا وسحرا وتنكرا وشطحا وردحا ونفاقا وزيفا وكذبا، وكان هذا الفضاء خليطا وهجينا من الناس أو أقنعة الناس، أو مما يمكن أن يشبه الناس، وكان اللقاء يجمع الأغنياء والفقراء والسعداء والتعساء والأسياء والعبيد والعلماء والجهلاء والقضاة والجناة والصاحين والسكرارى ... ومنعا من يكرر بعضنا البعض، فإنني أوصيكم بارتداء الأقنعة... خذوا هذه الأقنعة الورقية..."

وفي نفس "سوق النساء" يتخذ اللعب المسرحي بالدمى وجهه الساخر حين يخرج المهرج المرأة من الدمية، ويخرج الدمية من المرأة، ينطق حالاتها بصورها، فتصير كل دمية تحمل تصور الحكواتي والمجتمع وتحمل تصورا ذهنيا ونمط تفكير محدد يدل على وضعها المادي والروحي في كل أبعاده الزمانية والمكانية.

وتعدد أشكال الدمي في اللعب المسرحي هو في عمقه تعدد في مستويات الحديث عن مكون آخر من مكونات المجتمع، هو هذه المرأة كحسد إنساني وصل في المجتمع المتدني إلى التدني العقلي والوجداني صارت

معه المرأة دمية للعب واللهو والزينة والجنس بعد أن سلبها المالكون قواها الخاصة بها، والمميزة لشخصيتها، فخضعت لهذا الاستلاب الذي أدى بها إلى المذلة والتشوه.

ويسهم القناع واللعب بالدمى في تقديم هذا الاستلاب، ويلعب القناع دورا مكملا للعب الدمية ودلالاتها. وفي سؤال الكاتب على لسان حربة يكون نوع من التكامل بين دلالات القناع ومعنى الدمية. "بأي قناع يلقي الناس. هل بالقناع الضاحك أم بالقناع الباكي؟".

إن القناع والدمية والحكي نصوص لنص واحد هو كلام الكاتب وقد توزع على الحالات والشخصيات والمونولوجات. وفي ثنايا هذا النص يطل موضوع المرأة ومفهوم الثقافة الشعبية، والعلاقات الوجدانية في مجتمع بدأ يفقد لغة الحوار والتخاطب.

وفي هذا فقدان، يكون الظهور أبلغ من التخفي، ويكون الإفصاح أفصح من الكلام العادي، وظهور المرأة، وإخراجها من الصندوق بعد أن كانت دمية، معناه تقديم شكلها وحالاتها وإخراج وضعيتها من ظلمة السكون والسكوت والعزلة ووضعها في كلام الحكواتيين. وفي "سوق النساء" تصير هذه المرأة مضمون الفرجة. يقول المهرج: "إن النساء الحقيقيات صدقوني فوق النقد والنميمة، وفوق كل الشبهات". ومن هذا التحفظ يتم تقديم عينات من النساء بأسلوب ساخر. فهناك العروس من قصب، زوجة حربة، "إنها تلد الأولاد والبنات، فتصدر الذكور إلى الخارج، وتبعث بالبنات إلى البيوت، ليشتغلن في البيوت". ثم هناك "التايكة" وهي من عامة الناس، اشتغلت خاطبة، وهي اليوم عاطلة أو معطلة "وهناك المرأة البيضاء

المرضة، وهناك "أمي الهرنونية الحيزبون، الشمطاء تعلم فنون الشيطنة وعلومها" وهناك "الكاورية" " المرأة العمياء، شوافة أو قارئة الفنجان، وهناك "باربي" التي " تبيع الوهم بالدرهم، وترقص على إيقاع الساعة الحمقاء والبلهاء".

إن الميزة الدلالية والأدائية للدمية والقناع في هذا النص، هو تشكيل الاحتفال بالتنوع، والتمسك بخيوطه، وتنشيط شروطه حسب ما ألف أو لم يألف الجمهور شكله في اللعب المسرحي في الساحات العمومية، وهذا يعني عودة الكتابة الدرامية إلى منابعها الصافية، وإحلال الممثل الدمية محل الممثل العارض، وهذا التوظيف معناه جعل الدمية والقناع أدوات لعبوية يمرر بها الكاتب حساسية فكرية وثقافية وتجربة خاصة في الحياة هي جزء من وساوس الساحة والحكواتيين والجمهور. هذه الأدوات التي بها يتم تقديم الإنسان/ الدمية بحوارات مجازية وذهنية تبت الحياة في هذه الأجساد الخرساء التي ذهب صفاؤها تحت وطأة الكدر والمسح بعد أن مرج أمرها باختلاط الواقع ذاته.

إن تعدد الحكايات بالدمى، هو تعدد الحكايات بالأنفاس دون تعميم أو تعمم، وهو - أيضا - لقاء بين الدمى والحكواتيين في أمر مريج هو هذا التحول الغامض الذي أحاط بالذات وبالعالم في رؤية الكاتب مما أدخل الكتابة في خلل الأزمنة، وجعلها تنطق التراث الشعبي بلغة التعدد الذي وسم مسار الاحتفال التراجيدي في هذا النص بالسقوط التراجيدي للكتابة.

خاتمة الحكى: مأساة في مأساة

الكتابة الدرامية في مسرحية "الحكواتي الأخير" محاطة بتراث شعبي مغربي أعطاها وظيفة جمالية صارت به تمثل ماهية الاحتفال في مدينة ملعونة تحكي حكاية غربة الناس وضياهم في حلم كان يحلم بوطن آخر يجهررون فيه بإدانة الحروب ويدينون كل أنواع المحاكمات السياسية، ويلعنون الحروب الكبرى " التي تنشأ دائما من الأوهام الصغرى".

وفي هذه الماهية يكون خطاب النص حول الوطن خطابا حول ماهية الهوية الضائعة داخل الوطن، و هوية ممزقة خارج الوطن، ويظهر هذا الخلل في العلاقات التي اختلت موازينها في العالم، بعد أن رغت الأيديولوجيات العجاف حقيقة العالم، وسترت حقائق التاريخ. وفي نفس " أنا والناس " يحدث الحكواتي بصوت الكاتب حضوره عن علاقاته مع صديقه الاشتراكي، وصديقه الرأسمالي، ويتحدث عن الفقيه الكبير، وعن الفوضوي والشرطي والرفيق اليساري، والمرأة المزوقة ليقول: " إن قناع المهرج في هؤلاء يستخدمه المقلعون، وأن المهرج الحقيقي قد مات لما رأى ما لا يسر القلب ومات".

وإذا كان هذا الخلل ظاهرا جليا في العلاقة بين الساحة والحكواتيين والشخصيات المتخيلة، فإن هناك خلاا آخر يكشف عنه هذا النص وهو العلاقة مع العالم، وكيف يرى الغرب شخصية طارق بن طارق، هذه الشخصية الإشكالية التي فضلت الذهاب إلى المنفى وبلاد الغربة، ورحلت للعيش بحرية خارج الوطن، لكن حلمها سينهار وسيتكسر أمام الواقع الغربي العصي على الفهم حين سيتحول هذا المرشد السياحي إلى تائه في جغرافية

الغربة بعد أن " هجر الساحة قبل أن تهجره " و" غادر مهنته قبل أن تغدر به"، فتحولت غربته إلى سؤال عن معنى الكلمات، ومعنى الحرية، وممرارة الاعتقال، وضياح الهوية خارج الوطن، وهو ما أبانت عنه حوارات الاستنطاق حيث تلحق بهذا المنفي تهمة الإرهاب. وفي الغرب يكتشف هذا المرشد السياحي أن الحرية في الغرب معناها "أن تعيش حراً يمكنك أن تجوع، وأن تظمأ، فأنت حر".

وعندما يرصد الحكي علامات السقوط التراجيدي لكل شخصية، تنتقل خطابات النص إلى طقس جنائزي قائم وحزين وموحش، فيتوارى الحكي والكلام والحكواتي والمأساة، وتردد شكوى المظلوم، ويتساءل الحكواتي الأخير بممرارة قائلاً: " في ختام هذه الحلقة، ماذا أقول لكم عني؟ ما أسعدني وما أشقاني؟ أنا صاحب مأساة إخوتي، وأصدق المآسي هي التي تضحك ولا تبكي، أنا في هذه الساحة ضيف... ضيف والبيت ليس بيتي. أنا عابر سبيل. سأمضي أنا، ويبقى الطريق بعدي..".

ويواكب هذه الشكوى فعل دفن الماضي والحكي بنفحة صوفية يتحدث بها الحكواتي. " تتسع بقعة الضوء قليلاً، يقف، وظهره إلى الجمهور، وكأنه ذاهب إلى مكان ما " أنا التائه الهادي، أنا الساحر العادي، أنا المتمرّد الراضي، أنا الواصل المبتدئ، أنا الضحية والمعتدي، أنا الزاحف الطائر، أنا الواقف العائر، أنا الواصل المنفصل.

"تعالى أصوات البنائين بالصلاة والسلام على النبي، وتحجب صوت الحكواتي. تضيق بقعة الضوء شيئاً فشيئاً، يتعالى إنشاد المنشدين، تتقاطع مع أصوات البنائين."

هاذي ساعة من ساعة الله يحضر فيها النبي رسول الله

إنه وبعد تحدث برشيد عن أزمنة الحكمي و الصراع والغربة والتعاسة والشقاء والفقر والغنى والحمق والعقل والنهى والورع والسفه، وبعد أن عاش امتلاء اللحظات بعيون مفتوحة على التناقضات وعلى الذات والعالم عاد في الحكواتي الأخير ليقدم حكاية الحكواتي الآخر عبد الكريم برشيد الذي حاول بمسرحه أن يكشف الزيف والخلل والتطرف ويعلن عن سقوط الحلم والأمل، لأنه عاش في عالم مجنون يحرم الحلال ويحل الحرام في السياسة وفي الثقافة وفي الفن والعشق، وما اختيار " سفينة نوح لسير الأحداث سوى دليل على شكل الطوفان الذي حل بالعالم وأغرق كل شيء في الدنس والطغيان.

هل الصمت الأخير يعني السكوت الأبدي؟

إن الدخول زمن الصمت لم يكن نتيجة عجز أو فزع، ولا يعني الهروب إلى الخلف، إن الدخول بكلام النص إلى الدراما يعني سقوط مشروع حضاري أراد الكاتب بشجاعة أن يبوح بزمن سقوطه، وهو ما حول الحكواتي إلى بطل تراجيدي، فهو كالحلاج ضحية، وكالحسين شهيدا وضحية في كربلاء جديدة، وهو المسيح المصلوب في عالم مقلوب.

وما الجهر بكلام حقيقة هذا السقوط إلا الصوت الآخر للحكواتي الآخر الذي يرى نفسه ولا يراها الآخرون. " أنتم لا ترونني، مع أنني أقف في عين الدائرة، ولا تحسون بي على أنني المحرك الذي يحرك شيء. ولو رفعتهم عيونكم إلى فوق، لرأيتهموني بشكل واضح "يقف على مصطبة " أنا الأعلى، ولا أحد أعلى ممن يكون مصلوبا على لوح أو على جذع نخلة. أنا الفادي،

مسيحكم العائد.. أنا الشاهد الشهيد. أنا الضحية والقربان في يوم العيد. شهيد
الترحال وشهيد الخيال وشهيد المحال وشهيد الجمال وشهيد السحر الحلال
وشهيد الكلام الذي... ينبغي أن يقال".

إنها آخر كلمات الحكواتي الأخير وآخر صوت يتكلم، لكنها
البدايات الأولى لميلاد حكواتي آخر لزمن آخر من أجل حكي آخر. إن
الأخير هنا لا يعني النهاية والختام وموت حقيقة هذا الزمن، بل يعني الوقوف
أمام المرأة لقراءة الحقيقة التي تضيع مع الصمت واغتيال الساحات والإنسان.

احتفال مسرحي في نفس واحد

شخصيات الامتفال

1. نور الدين (الحكواتي)
 2. حريمه (لحلايقي)
 3. شدوان (المغني)
 4. ميمون (الكاتب العمومي)
 5. طارق بن طارق (المرشد السياحي)
- مجموعة من الرجال والنساء
- مجموعة من الأصوات أيضا..

استهلال

(يدخل الحكواتي و هو يدفع عربة يد، و في العربة صندوق كبير تتدلى من فوق صورة شعبية فطرية تمثل سفينة نوح، وذلك بكل حيواناتها المختلفة و المتعددة يصاحب دخوله التصفيق، يرد على تحية الجمهور الوهمي انحناءات متكررة)

أنا الحكواتي، و أنتم ضيوفي الليلة أقول باسم الله. توكلت على الله، وأبدأ الكلام بالصلاة و السلام على خير الأنام، ماذا تنتظرون؟ صلوا معي و سلموا يا سامعين، صلوا عليه، يغفر لي و لكم، خالق الدنيا و الدين، و رب الناس أجمعين.

أصوات خارجية: اللهم صل عليك أ رسول الله.. من صلى على النبي يربح، و من وسع دائرة الحلقة يربح، و من جلس من الصبيان يربح، و من أتاه حديثي لابد يربح..

(يأخذ دفا، و ينقر عليه بأطراف أنامله)

(يغني)

رضيت بما قسم الله لي	و فوضت أمري إلى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى	كذلك يصلح فيما بقي

أنا الحكواتي، و الحكواتي سفير الأوطان الأخرى. سفير الإنسان
للإنسان، و سفير هذا الزمن إلى كل الأزمان..

سمعت عني أحاديث، أو قرأت كتابات، و الآن تروني كما أنا،
عاريا إلا من كسائي.

قريبا منكم بعيدا عنكم
عاديا جدا جدا

و غريبا و مثيرا و مدهشا و مشاكسا و صعلوكا. أمير أنا بلا إمارة
و حكيم بلا حكمة،

و مواطن بلا وطن و مسافر بلا زاد و رسول بلا رسالة..
دعوني أقول لكم:

لقد علمتني الحياة أن أكون حيا، و علمني التاريخ أن أكون إنسانا،
و علمتني الطبيعة أن أكون شاعرا، و علمني الجمال أن أكون عاشقا،
و علمتني الحرية أن أكون متمردا، و علمتني المسافات أن أكون مسافرا، و
علمتني الحروف أن أكون قارئاً، و علمتني الطيور أن أكون محلقاً، و علمتني
المشاهد أن أكون شاهداً و شهيدا، و علمتني الأيام أن أكون معيدا،
و علمتني الأعراس أن أكون عريسا..

إنني أمشي على الأرض (يمشي في مكانه) و الأرض تدور على
نفسها، و تنكر الساعات الساعات، و تأكل الأيام الأيام، و تغوص الليالي
في جوف الظلام، و يطول ظلي مرة و يقصر، و يغيب فجأة، ثم يحضر.. و
'خلق عاليا في السماء، و أقول بلسان الحكواتي هذه السماء العالية و

اللامتناهية ، و التي تغشاني و أغشاها لا أعرف مبتدأها ، و لا أعرف
منتهاها .

و أكلّم الجماد و الطير، و أغوص في لجة الموج، و أرافق الحوت و
الأسماك، و لا يغرقني الماء..

أنا الحكواتي، و أجمل كل الأيام حكاية، و أبلغ كل الحكايا أكثرها
امتلاء بالخيال و المحال. حكاية لها بطل و أحداث، و لها حالات و تحولات و
لها بدء و ختام، و بها صور بكل الألوان، و لها كلام يتبع الكلام. كلام
يمكن أن يكون بكل اللغات، و أن يقرأ بكل القراءات. و أغرب كل هذه
الأيام الغريبة حكاية، و أتعسها أيضا حكاية..

أنا.. تريدون معرفتي أكثر ؟ أنا آخر الحكواتيين .. اسمي نور الدين،
و اسم أبي محيي الدين و اسم جدي شرف الدين و اسم جدنا الأكبر
معز الدين، و هنا، في هذا المكان، كان أبي يقف، و أنا بجانبه. يرفع عكازه
إلى السماء. يلوح به في جميع الجهات و كأنه سيف و يقول:

(ينشد شعرا)

أنا ابن ذي يزن من فرع ذي يمن ملكت من حد صنعاء إلى عدن
لقد ظل يتحدث أعواما طويلة، و الناس يسمعون، و كانت
الساعات تمضي بطيئة و النفوس هادئة و مطمئنة. حدثهم عن سيف بن ذي
يزن و عن عنتره العبسي و عن الظاهر بيبرس و عن حمزة العرب و عن ذات
الهمة و عن دليلة المحتالة و عن الزبيق و عن تغريبة بني هلال..

نعم. أنا آخر الحكواتيين ، و هذه الليلة هي آخر ليالي الحكوي .
ورثت حرفتي عن أجدادي، و رويت للناس نفس الروايات. كانوا أسعد

حظا مني، فقد جاءوا الزمن في عزه، و جئته أيام انكساره. آه.. كان الله و
يبقى الله، و لا يدوم إلا وجه الله..

من حقي، في هذه الليلة الأخيرة أن أحتفل.. أحتفل اهزامي النبيل.
يكفييني فخرا أن يكون الزمن عدوي، و أن تكون الأيام و الليالي خصومي.
إنني أدعوكم إلى حلقتي، فهل تقبلون دعوتي ؟ هل تقبلون ؟ قولوا نعم ،
فمن حق المحكوم عليه ، ساعة الرحيل ، أن يكون له رجاء ، وأن يسأل ما
يشاء ..

حكاية ساحة..

- 2 -

(من الخلف تأتينا أصوات الرافعات و الشاحنات، و نسمع أصوات الهدم والبناء، مما يوحي إن الساحة مهددة بالهدم وأن العمران يزحف على الإنسان).

هذه أصوات الغيلان و أصوات الوحوش، و بعد أيام - يا أولاد الحلال - ستصبح هذه الساحة غابة مرعبة، من يدخلها مفقود، و من يخرج منها مولود. غابة من الإسمنت و الحديد.

يا الله. ماذا أقول لكم له ؟ إنكم تسمعون ولا ترون. فكونوا شهودا على ما يحدث ويجري. إنهم يغتالون الفضاء الحي، و يغتالون اللقاء و يغتالون الإنسان، و يغتالون الفرح و يغتالون الاحتفال والخيال..

في هذه الساحة كان يسمع صوت الأذان.. كان ذلك قبل الآن، وكان يتقاطع مع صوت أجدادي الحكواتيين.. (يغمض عينيه ليتذكر. تصاحبه الأصوات التي يتحدث عنها) و كان يسمع صوت جرس (الكراب) و هو يرن و صوت الدلال و أصوات الشحاذين وأصوات المقرئين العميان و أصوات العربات التي تجرها البغال. من هنا كان يمر

الحمالون. إنني أكاد أراهم، و أقول لكم عن أسمائهم. هذا (باغوس) و ذاك
شعبيّة و الآخر بوجمة. إنهم يحملون الأحمال الثقيلة، و هم يخترقون الزحام،
و يصيحون (بالك).. من هنا كان يعبر التجار، قادمين من بلاد السند و
الهند و من مالي و السودان..

هنا. كان يصدح صوت البائعين، متغنيا بحريز الهند و عاج الحبشة
و عنب الشام و تمر العراق و قهوة اليمن..

هنا كان يسمع صوت العشائين و صوت البهلوانين و صوت
مروزي القروود و مروزي الثعابين (يفتح عينيه) لقد اختفوا كلهم، و
أصبح المكان غير المكان و الدنيا غير الدنيا و الناس غير الناس. يختفي كل
الذي كان، و أنا بعض ذلك الذي كان، و بعد ساعة، أو ساعتين من الآن،
سأختفي.. سأختفي..

أنا سلطان من ذاك الزمان، و هذا كل ما بقي لي.. تاج من شوك..
(يضع على رأسه تاجا من شوك) و عرش من شوك و صولجان من شوك
و فراش من شوك و رداء من شوك و حذاء من شوك. و طريق مفروشة
بالشوك.

(كأنه يخاطب شخصا وهميا) أيها السائر في دروب الأيام و الليالي
انتظر. خفف الخطو، و تمهل، و اسمع حديث الحكواتي. أنت مثلي، و مثل
كل الناس جميعا، تعشق الماضي الذي كان، و تقول - بينك و بين نفسك -
يته يعود جديدا، ذلك الذي كان.. إنك تخشى الآتي، و الآتي لا يخشى
حدا، و هو دائما بلا أمان و بلا ضمان. أليس كذلك أيها الإنسان ؟

أنا الحكواتي. أحكي و أحاكي، و أهدم و أبني، و أخرج و أدخل،
و أغيب و أحضر، و أنهمز و أنتصر، و أرقص و أغني، و أرسم و أنحت، و
أخلق في السماء، و أغوص في الماء..

أنا الحكواتي، رجل منكم و من هذا الزمان، و لكنني أملك أن
أرحل بعيدا، و أن أعيش كل المخلوقات، و أن أساكن كل الناس و كل
الأزمنة..

أدعوكم لأن تركبوا معي بساط الريح (يخرج من الصندوق
بساطا. يفرشه على أرضية المسرح و يجلس) شدوا أحزمتكم، كفوا عن
الكلام و التدخين. الإقلاع إخوتي يكون بعد حين (ظلام تام — يسمع
صوت إقلاع الطائرة، يوحد شمعة)

أنا حكواتي معاصر. جئت من الأحياء الهامشية، أركب دراجة
هوائية، في الفراغ ألقى وجودي، أو ما يشبه وجودي، و في الخيال أبني
عمارات كينونتي و هويتي..

في فضاء الحكاية تجدون عنواي. إنني أسافر و أرحل، بين حدين
متحركين و متقاطعين و متداخلين؛ حد الماضي الذي لا يمضي وحد هذا
الآني الطائر و المتبخر..

في الحلم مسكني و في الجنون صراطي، و صراطي ليس مستقيما، و
هو أرق من شعرة و أحد من شفرة السيف..

أنا وحدي الذي أخرجت الناس من بيوتهم. أنا الذي شغلتهم عن
ماهم و تجارهم. أنا الذي سحرهم بالكلمات، و أغنيتهم بالكلمات، و
أطربتهم بالكلمات..

تسألونني عن زمن الحكيم أقول الآن.

و تستفسرون عن مكانه أقول هنا.

و تسألون عن المعيدين و المحتفلين معنا، أقول.. نحن.. نحن الآن هنا. كلنا. نعم كلنا..

(يأخذ الدف من جديد، و يغني)

وقفت ببابك يا ذا الغنى فقير و أنت بحالي عليم
و حاشا وكلا يخيب الذي أتى انكسار لباب الكريم
علمتني مهنتي أن أعرف الناس جميعا، و علمت الناس ألا يعرفوني،
و شئ طبيعي - إخوتي - أن يهتموا بحكاياتي و خيالاتي و ألا يهتموا
بالحكواتي..

نعم، أنتم لا ترونني، مع أنني أقف في عين الدائرة، و لا تحسون بي
مع أنني المحرك الذي يحرك كل شئ. و لو رفعتم عيونكم إلى فوق، لرأيتموني
بشكل واضح (يقف على مصطبة) أنا الأعلى، و لا أحد أعلى ممن يكون
مصلوبا على لوح أو على جذع نخلة. أنا الغادي ، مسيحكم العائد .. أنا
الشاهد الشهيد. أنا الضحية و القربان في يوم العيد ؛ شهيد الترحال و
شهيد الخيال و شهيد المحال و شهيد الجمال و شهيد السحر الحلال و شهيد
الكلام الذي .. ينبغي أن يقال..

أنت مثلا..

(يكلم شخصا وهميا) ما رأيك لو قلت لك إنني أعرف من
تكون. نعم أعرفك، تماما كما أعرف نفسي، و أعرف حرفتي، و أعرف
شخصياتي. و أعرف أيضا، لماذا أنت هنا. طبعاً ليس لسواد عيوني

(يضحك) أنت إنسان فضولي، و شكاك، و قد قلت لنفسك الأمانة بكل سوء، تعالي نسمع ما يقول هذا الرجل، و هو بلاشك كذاب و دجال و محتال.. آه.. هل رأيتم ؟ لقد انصرف .. لا يهم..

و أنت.. ماذا أقول لك ؟ (و هو يتأمل شخصا وهميا) أنت ما أتى بك إلا هذا الزحام. أليس كذلك يا صاحبي ؟ أنا أجمع الناس ، و أتعب في جمعهم ، و أنت وحدك المستفيد . أيها الناس، من كانت له في جيبه محفظة نقود، فليتحسسها، و ليطمئن على سلامتها، فالأيادي الآثمة موجودة بيننا.. (يضحك) لقد هرب. أنا لم أخسر زبونا، و أنتم أيضا لم تخسروا أي شئ.. (ينادي الشخص الوهمي الهارب) يا هذا الرجل لا تقرب. عد إلى حلقتي، و اسمع كلام الحكواتي. لا تخف أن تموت جوعا، لأن الذي شق الأشدق لا يتركها بلا أرزاق..

و أنت.. (مكلمنا شخصا وهميا آخر) ها ها.. أنت في كامل أناقتك و أهتك. هكذا تكون (الشياكة) يا أحي و إلا فلا (شياكة) و(لاهم يجزنون). شاب وسيم، يفيض صحة و عافية، زادك الله من نعمائه. آه و آه، والشباب يا صاحبي يغري بارتكاب العشق، و العشق جنون، و الجنون فنون، و الفنون لو تدري، ملح الدنيا و ملح الكون.. رأيته يا ولدي لا ترحم ساعتك التي في يدك، فأنت لا تنقطع عن النظر إليها. إنك على موعد، أليس كذلك ؟ و من كان على موعد مثلك فإنه لا يمكن أن يكون إلا واقفا على الجمر. كان الله في عونك و في عون كل العشاق. إبق معي، و اجلس بجانبني، و تأكد إن الوقت سيمر سريعا. لن تحس إلا و قد حلت الساعة الموعودة، و لكنه - مع ذلك - لابد أن أحذرك من شئ.

إحذر جيدا أن يسرقك حديثي، و يفوت عليك الموعد. إنتبه، إن
الكلام غدار، و الوقت سيف بتار..

كنا في البدء خمسة..

— 3 —

عباد الله

في هذه الساحة نحن خمسة أصدقاء، بل خمسة إخوة. أنا الحكواتي و هذا.. (يخرج حربا و هو يمسك بقفة)..

حربا : أنا (حربى) لمسيح .. (يدخل رجل آخر و هو يمسك بآلة عود)

الحكواتي : و أنت ، من أنت ؟

شدوان : أنا ؟ أنت شدوان المغني ..

الحكواتي : أما هذا فهو .. (يدخل رجل آخر)

ميمون : أنا صاحب السجل ، و صاحب القلم و الدواة . أنا كاتب أسراركم، أخوكم ميمون.. ميمون، نعم، الكاتب العمومي في هذه الساحة..

(يدخل رجل في جلباب أبيض)

طارق : وأنا .. مرافقكم و دليلكم، طارق بن طارق، المرشد السياحي الذي لم يجد من يأخذ بيده و يرشده..

الحكواتي: و هل فعلا كنا خمسة ؟ (يخرج الآخرون و يبقى وحده)

تأملوني جيدا و قولوا، كم ترونني الآن ؟ ألسنت واحدا من الناس ؟ نعم، و لكنني يمكن أن أكون كل الناس. إنني أتعدد، وأتجدد، و أملك أن أتحول. نحن في الأصل خمس قارات في أرض واحدة، و خمس أصابع في يد واحدة، و خمس صلوات في يوم واحد، و خمس حاسات في جسد واحد..

كنا، هنا، نفترق و نلتقي، و نعيش جنونا في هدوء، و نقسمه مع الناس. كنا نحكي و نحكي، و نغني و نشدوا، و نرتل التراتيل و نقرأ الأشعار، و نسود الأوراق و تتلوا الأذكار..

صديقي (لمسيح) غادر ساحتنا و اختفى. غادرها قبل أن تغادره. انزوى في بيته مع وحدته، و طلق مهنة الإضحاك بالثلاث. ذهبت إليه في صومعته. وسألته: (حربة داخل بقعة ضوء)

♦ لماذا تهجرنا يا حربه، و تهجر الساحة و السوق، و تبتعد عن الناس، لماذا؟

♦ لماذا ؟ من قبل يا صاحبي كان الناس يضحكون معي..

♦ و اليوم ؟

♦ اليوم، أصبحوا يضحكون علي، و يضحكون عليك أنت أيضا.

يضحكون علينا كلنا. الشاطر يا صاحبي هو من ينسحب في الوقت

المناسب. نعم. ينسحب قبل أن يطرد. هل فهمت ؟ (تنطفئ بقعة

الضوء، و يختفي حربة)

الحكواتي: و جاء رجل من الناس و قال أنا (لمسيح) الجديد، و فعلا كان
جديدا في كل شئ، في بدلته و في أفكاره و في طموحاته المختلفة، و سمعته
يقول لضيوفه أو لزبائنه.. الذين يضحكون عليه، ولا يضحكون معه:

(يدخل رجل، في زي عصري)

الحكواتي: ماذا قلت لهم أيها المبدع المجدد ؟

حريه: قلت، أنا فنان، من هذا الزمان، وإني أعدكم - كلكم - إني سوف
أحدث في هذا الفن ثورة خطيرة. لن أطوف عليكم و أنا أحمل صينية، أو
أحمل طربوشي بيدي، وأسألكم متاع الله.. لا لا..

الحكواتي : (لمسيح) الجديد ، أصبح منشطا في فندق ، وهو اليوم يرفه عن
السائحين ، و يضحك المكتئين ، و يقتات من عطاء الموسرين. إنه يريح
المتعين بكلماته و حماقاته و بشطحاته و بألغابه البهلوانية. إنه يفعل أي شئ،
من أجل أن يملأ الفراغ.. فراغ نفوس و أرواح فارغة و قاحلة ومقفرة..
(يقدم غمرة تنشيطية بالألعاب السحرية)

♦ أما صديقنا الآخر، شذوان المغني فمازال يغني، ليس في هذه الساحة التي
أدركتها الشيخوخة و أتعبتها الأيام و الليالي، و لكن في الأندية الليلية و
في الملاهي. إنه يغني للسكرارى و المعربدين. هذا غناء و ذاك غناء ، و
شتان بين هذا الغناء و ذاك الغناء . في تلك الأيام التي خلت، كان يغني
للحب الصادق، و يتغنى بالوصل، و يشكو الهجر و البعد، ويستلذ
بدلال المحبوب، و يقول مع الناس، و يقول الناس معه:

(يظهر شذوان المغني و في زي السهرة. يغني أمام ميكرفون

وهي)

شـدوان : (عين الحسود فيها عود يا حلاوه)

الحكواتي : يتغنى بالهوى و الشباب ، و يقول عن المحبوب ، و يقول كل الناس معه :

شـدوان : (يغني)

♦ (أفديه إن ضيع الهوى أو ضيعه) ضيعه قليلا أو كثيرا. لا يهم، فهذا العصر عصر الضياع، و كلنا - والحمد لله - ضائعون ومضيعون..
الحكواتي: و اليوم، هو مغني آخر..

شـدوان: نعم، أنا مغني آخر، لأن هذا اليوم - و بكل بساطة - هو يوم آخر..

الحكواتي: لقد دارت الأيام، و فقد الرجل أحلامه القديمة، و أصبح واقعيًا، يفكر في السوق، و يتعامل معها، بمنطق السوق، وفي هذه السوق - يا سادة يا كرام - هو لا يفكر إلا في المستهلك. وفي المستهلك يخاطب شهوة الاقتناء لديه، و التي هي اليوم أسمى الشهوات و أنبلها كلها .وأهم ما في هذا المستهلك جيبه، و أخطر كل كتاباته و خربشاته توقيعه المحترم، خصوصا عندما يكون على شيك ، و يكون للشيك رصيد ، و يكون رسيدا سمينا و غليظا ، مثل رصيد إبليس من المعاصي و الذنوب . إسمعوه كيف أصبح يفكر. إنه يتكلم بلغة هذه الأيام و التي هي أكثر اللغات حياة، و ربما لا حياة اليوم إلا لهذه اللغة، و إن كان هناك من يقول غير هذا ..

شـدوان : (و هو يقف أمام مرآة وهمية)

(التشيك) يا عباد الله أهم شروط النجاح والفلاح. كن كما تشتهي أنت، ولكن، لا تلبس إلا ما يريد الناس. نحن نأكل لنعيش، و نلبس

لنخدع أصحابنا، ونخدع أصحابكم من الناس، و كل زي ما هو إلا قناع،
و كل الأقنعة خادعة، وليس كل الخداعين من الناجحين، وما كل الناجحين
سعداء، و من أدرك السعادة، أدرك المبتغى، ووصل سدره المنتهى..

آه.. هذا العصر - يا أيها البناء - وعصر البضاعة والسلعة، و كل
الأوقات فيه هي أوقات لتبضع الحر، و ما هذه المدن إلا أسواق كبيرة،
مفتوحة بالليل و النهار، و الإنسان فيها واحد من ثلاثة، الأول منهم بائع
محترف، و الثاني يشتري و يشتري، ولا يفعل أي شئ سوى أن يشتري.
يشتري ما ينفع و ما لا ينفع؛ الأساسي و الكمالي، و الرخيص والغالي. و
الثالث بينهما لا يبيع و لا يشتري، و لكنه سمسار، و أنا - و لا فخر -
اخترت أن أكون ثالث الثلاثة، و أن أشتغل بالسمسرة، و بهذا يمكن أن
أكون مع هذا، و أكون مع ذاك، و أن أكل من رزق هؤلاء و من رزق
أولئك. و كما ترون، لدي صورة حسنة، مقبولة في العين و في النظر، و
لدي صوت يشدو، و لدي حضور مقنع و شخصية محترمة، و قد وظفت
موهبي في مجال الإعلان. إنني أغني على السلع، و الغناء عليها شئ مربح
جدا جدا، و أين منه يا عباد الله الغناء التقليدي القديم؟ الغناء على
المأسوف على شبابها وزمانها للآ أم هاني، ولو كتب الله و رأيتم أم هاني
هاته لو لو يتم الأدبار. و الغناء على أم الخير، و التي ليس فيها من الخير إلا
اسمها، و الغناء على لآ شمس الضحى و لآ راضية و لآ البتول و لآ ماريآ و
لآ قوت القلوب؟

الحكواتي: هذا هو صاحبي المغني. إنه مازال يغني، و لكن موضوع عشقه و
موضوع غنائه تغير كثيرا، و عندما أسأله في هذا يقول:

شـدوان: البلداء فقط هم الذين لا يتغيرون، ويمكن أن تضيف إليهم الموتى، وبحمد الله لست بليدا ولست ميتا..

الحكواتي: إنه اليوم (براح) في سوق ، وقد ضاق العالم في عينيه ، حتى أصبح مختصرا في هذه السوق. إنه يتغنى بالمعروضات، و كل هواه مع الفوطه الصحية والزيت الصحية والزبدة الصحية، و مع معجون الأسنان و مع الشامبوان ومع الألان و الأجبان.. استمعوا إليه و هو يغني.. (يرتدي بدلته اللامعة).

شـدوان: (يغني) يا صابون الأشواق، اشتقت إليك فعلمي ألاشتاق ..هذه الأغنية اسمها (صابونة تحت الماء) و هي من الروائح —عفوا— من الروائح التي زلزلت الأرض، وأحدثت ثورة خطيرة في الأذواق، وجننت الشباب، ذكورا و إناثا..

الحكواتي: يا صاحبي، لماذا تركت الغناء ؟

شـدوان: حتى هذا غناء..

الحكواتي: كنت مغنيا، وأنت اليوم بضاعة فقط.. بضاعة تتغنى ببضاعة..

شـدوان: هكذا شاء ربك، أو شاءت الأيام، لست أدري. أنا ما خلقت هذا العالم يا صاحبي. هو هكذا، و أنا — مثل كل الناس — لا أملك إلا أن أعيشه كما هو، و لو كان بإمكانني أن أصنعه من جديد، لما صنعته أحسن مما هو الآن..

الحكواتي: ذلك الآخر الذي أعرف. صديقي شدوان، كان شاعرا..

شـدوان: نعم، كان شاعرا في زمن الشعر، تماما كما كان غيري فارسا في زمن الفروسية، أو كان عاشقا في مواسم العشق، أما هذا الزمن

فهو زمن البطن والمضم، وزمن العين والنظر، و زمن الإقتناء والاستهلاك..و في الإقتناء يتم دائما البحث عن أرخص الأشياء، وأرخص الغناء هو الأكثر نجاحا ورواجا وانتشارا.لا تسألني لماذا، و هل يعقل هذا ؟ إنه منطق السوق يا صاحبي، وأرخص الغناء موجود عندي أنا، وعند رفاقي المطربين - الذين لا يطربون أحدا - و عند زميلاتي المغنيات الناجحات..
(يضحك و يضحك ، حتى يستلقي على ظهره)

حديث المسيح (المهرج) ..

— 4 —

الحكواتي: هذا هو صديقي شدوان الذي كان. أما عمنا (حربة) فهو هذا..
(يدخل حربه و هو يضع طربوشا أحمر على رأسه، و يحمل قفة)
حـرـبـه: (تحيط به مجموعة من الناس تشكل حلقة) كيف تروني الآن ؟
لا تقولوا شيئا. تأملوني فقط، و اسمعوني جيدا، فما أقوله اليوم أقوله لآخر
مرة..

أنا (المسيح) سلطان هذه الساحة. احترت يا أولاد الحلال. و حق
الله احترت، و من كان في مثل وضعي، وكانت مهنته نفس مهنتي لابد أن
يختار. إنني لا أشتغل بوجهي، لأن وجهي - شرف الله قدركم - لا يطعم
خبزا، و لا يستر عورة. إنه عملة فاسدة في زمن فاسد، لذلك فقد تركته في
بيتي. أي نعم. أنا أيضا لدي بيت.. تركته مع لـلا يطو، ملهمتي و أم
عياي..

الاشتغال في السوق - يا أولاد الحلال - لا يكون إلا بالأقنعة. نعم،
و مع الأقنعة تكون الأزياء، و مع كل زي لابد من لغة خاصة، و كل لغة
ها موضوعها و لها بشرها. أنا لا أحدث الناس إلا بما يفهمون و بما
يريدون. آه، وما أغرب ما يريد الناس.. حقا لقد احترت، و سألت نفسي،

يا نفس اخبريني، بأي قناع ألقى هؤلاء الناس ؟ بهذا القناع الضاحك ؟
(يضع على وجهه قناعا ضاحكا) أم بهذا القناع الباكي ؟ (يضع على
وجهه قناعا آخر) قلبي ليس باكيا و ليس ضحكا، و أنا الآن في حالة
وسطى، بين بين. أما عن وضعي، وسط هؤلاء الناس، فماذا أقول لكم عنه
؟ إنه وضع بين وضعين، أسوأ من السعداء و أحسن من التعاء، وأعلم من
كثير من الجهلاء، و أقل علما وفهما من سادتنا العلماء..

(يلقي بالأقنعة للجمهور الوهمي) صدقوني، كل الأقنعة يا أولاد
الحلال، مهما اختلفت، تبقى أقنعة عادية. عادية نعم، و لكنها ضرورية و
مفيدة، خصوصا بالنسبة لمن كان يعيش مثلنا في كرنفال دائم، و كان
الكرنفال أضواء و ألوانا و أصباغا و شعوذة و دجلا و سحرا و تنكرا و
شطحا و ردحا و نفاقا و زيفا و كذبا، و كان هذا الفضاء خليطا عجيبا، من
الناس أو من أقنعة الناس، أو مما يمكن أن يشبه الناس، و كان اللقاء يجمع
الأغنياء و الفقراء و السعداء و التعاء و الأسياد و العبيد و العلماء و
الجهلاء و القضاة و الجناة و الصاحين و السكارى. و.. منعا من أن يكرر
بعضنا البعض، فإنني أوصيكم بارتداء الأقنعة.. خذوا هذه الأقنعة الورقية
(يخرج من الصندوق أقنعة أخرى).. ضعوها على وجوهكم، وتأملوها.
قولوا. أستم الآن أجمل مما كنتم ؟ (يوزع على الجمهور أقنعة الورقية) و
بغير هذه الأقنعة فإنه لا يمكنكم العيش في حمى الكرنفال. هل فهتموني ؟
افهموني فقط ، ولا تعطوني أي شئ ..

(في انكسار) ما أنا - يا أولاد الحلال - إلا فنان شعبي، أحدث
الرجال عن النساء، و أضحك النساء على الرجال، و أقلد الأغنياء للفقراء،

و أسلخ جلد الأغنياء لحساب إخوتي الفقراء. إن الذين يغيبون عن حلقتنا
نضحك عليهم الحاضرين، و ليس هناك ذنب أكبر من ذنب الغياب، و عليه
فإنني أوصيكم إن تلتزموا أماكنكم، و ألا تغادروها، و إلا فستصبحون
موضوع حفلتنا، ويصل خيركم إلى.. قرطخنة، ونضحك عليكم خلق الله.
هذه هي أصول اللعبة يا أولاد الحلال، وقد ورثناها عن أسلافنا، غفر الله لنا
ولهم، قولوا آمين..

الجميع: (بصوت واحد) آمين..

حـرـبـه: أنا (حربـه) العجوز. حكيم يا أولاد الحلال. حكيم وحق الله،
ولكن حكمتي غريبة و عجيبة، و قد تكون مضحكة أيضا. لا يهم، و هي
لا تشبهها - في غرابتها - أية حكمة أخرى. و لأنني حكيم العصر و الأوان،
و فريد هذا الزمان و كل الأزمان، فقد قلت. و من حق الكاتبين منكم أن
يدونوا بماء الذهب ما أقول.. اسمعوا وعوا، و اكتبوا (متصنعا الجلد) إن
السماء إذا لم تكن غائمة فإنها لا تمطر..

الرجل الأول: سبحان الله..

حـرـبـه: نعم، و الخمرة إذا كانت بالجحان فإنها لا تسكر..

الرجل الثاني: عجا.

حـرـبـه: و الشجرة إذا كانت رسما فقط، على ورق مقوى أو غير
مقوى، أو كانت نحتا على حجر أو على جذع شجر، فإنها لا تثمر..
الرجل الثالث: لا إله إلا الله..

حـرـبـه: و الحر حر، و إن مسه الضر..

الرجل الأول: حكمة بليغة..

حـربة: و الحي حي، يكون كذلك و يبقى، و إن كذبوا و زوروا، و زيفوا و قالوا، إنه مات (الزغي) و انتهى، و أنهم غسلوه و كفنوه، و أنهم صلوا عليه في الجامع الأعظم، و وضعوه تحت اللحد و القبر..

الرجل الثالث: رحمنا الله جميعا..

الرجل الأول: .. و نحن أحياء و نحن موتى..

حـربة: و الفقير فقير أيضا، يولد معدما و يموت معدما، و إن كانت له أموال قارون و كنوز علي بابا، و كان له جني عملاق يخرج من المصباح و يقول له (شبيك لبيك. كل ما تطلب يحضر بين يديك).

الجميع: (بصوت واحد) آهاه ؟

حـربة: و الغني غني يا أولاد الحلال، و إن قالوا عكس هذا، و ألحقوا به قهمة الفقر، و اعلموا أيضا، أن الغني أنواع و أنواع، و أن خير كل الأنواع غنى النفس و غنى الروح..

الرجل الأول: أتسخر منا، يا عمي حربه ؟.

حـربه: و المغني - يا أولاد الحلال - إذا كان من أبناء حينا، فإنه لا يمكن أن يطربنا، تسألونني لماذا، أقول لكم، الله أعلم..

الرجل الثاني: في هذه صدقت يا (حربه)

حـربة: و إذا سمعتم - لا قدر الله - حفار القبور يقول إن الدنيا بخير، فلا تصدقوه، و اعلموا أنها بألف شر..

الرجل الثالث: هذه أيضا حكمة بليغة..

حـربة: مصائب الموتى عند الحفارين فوائد..

الرجل الأول: لا إله إلا الله. كلنا لها..

حـربة: و إذا قال الجلال إن الشغل مزدهر، فمن حقكم أن تخافوا، و أن تتحسسوا رؤوسكم..

الرجل الثاني: اللهم يا رب العالمين احفظنا..

حـربة: أنا حكيم و لكنني لست حاكما، و (الحكمة إذا لم تكن حاكمة لا يعول عليها) أنا إذا فكرت أصبت كبد الحقيقة، و كنت مصيبا، و كانت كل أفكارى مصيبة.

الرجل الثاني: حقا. أنت كل أفكارك مصيبة..

حـربه: يا الله. إنه لا يمكن أن نضئ حتى نحترق..

الرجل الثالث: (كالصدي) حتى نحترق..

حربة: و لا يمكن أن نلتقي حتى نفرق ..

الجميع: (كالصدي) حتى نفرق..

حربة: و لا يمكن أن نلتحق بالسادة الأموات إلا بعد الحياة.. الجميع، كالصدي.. إلا بعد الحياة..

حـربه: و لا يمكن للرماد أن يصبح رمادا إلا بعد أن يكون جمرا.. الجميع، كالصدي).. يكون جمرا..

حـربه: صدقوني - يا أولاد الحلال - إذا قلت لكم إن الحكماء مثلي - و هم قلة قليلة بين عباد الله - تبحث عنهم الحكمة، قبل أن يبحثوا عنها، و إن التاجر الشاطر - وهو غير التاجر الفاجر و المقامر - يدركه رزقه من غير أن يجري خلفه. هذه الدنيا حظوظ، و أنا حظي في المعاني و القوافي و.. (صافي) ..

هذه الليلة يا أولاد الحلال، سأدخل بكم سوق النساء، ولقد
اخترت الحديث عن النساء لأنهن غائبات، ومن غاب عني، استحضرت
بخيالي، ومثله بفني، وهذه هي أصول اللعبة.. كايين شي عيالات في القاعة
؟ أنا لا أقصدكن أنتن، وحق الله . أقصد النساء في هونو لولو و
بوجمبورة..

سوق النساء..

— 5 —

حـــــربـــــه: آه من سوق النساء. هو سوق (يا
الحباب) من غير باب ولا بواب ، ورحم الله شيخ أشياخي الذي قال :
(يغني)

سوق النساء سوق مطيار يالداخلو رد بالك
يوريوك من الريح قنطار ويخسروك فراس مالك
و أنا - يا أولاد الحلال - ليس لدي رأس مال و لا بطن مال و لا
حتى ظفر مال، و عليه، فإنه لا خوف علي من الدخول إلى هذه السوق. لا
خوف علي، و لا هم يحزنون علي.
آه.. هذا الكلام - يا سادة يا كرام - لا يخص كل النساء، و
خيرهن استثنينا في هذا الحديث. إن النساء الحقيقيات - صدقوني - فوق
النقد و النيمة و فوق كل الشبهات، و من هؤلاء النسوة المحترمات السيدة
زوجتي، مولاة الدار، تلك التي لا يمكن أن تجدها - وفي كل أوقات الليل
والنهار - إلا خارج الدار، و خارج الزمن أيضا، و خارج التاريخ، و خارج
أكوان رب العالمين ... (يغني)

كيد النساء كيدايين من كيدهم جيت هارب

يتحزموا باللفاع و يتخللوا بالعقارب

ورفعنا لأي التباس، كيفما كان، فإني أقول، إن هذا كان قديما. أي
تعم. عندما كانت القردة تنطق، و كان الديك الفصيح يصيح، و كان عباد
الله يسافرون على متن بساط الريح. والآن، انقلبت العصور يا عباد الرحمن،
وجد في الأمر أمور، و أصبح التمييز بين الرجل والمرأة شيئا صعبا وعسيرا،
بل و مستحيلا يا عباد الله..

(مشيرا إلى صورة امرأة، يزين الوشم وجهها) هذه هي زوجنا
للا يطو، و هي عازفة ماهرة على آلة (الغيطة) و من أجل كل الأغاني التي
قلنا فيها، هذه الأغنية. انتبهوا جيدا، واسمعوا وعوا، و لا (تفرتعوا):

(يمسك التعريجة و يغني)

ألا يطو ألا يطو جيبي الغيطة وآجي أنغيطو

عشت معها - كما أراد الله - سنوات طويلة من عمري، و لم أكن
أعرف إلى أين تذهب، و لا من أين تأتي. ترتدي جلبابها صباحا. (تعكر)
و (تسوك) و تضع لثامها الجديد على وجهها القدم، وتخرج ، و لا تعود
إلا في آخر الليل ، و عندما أسألها في ذلك تقول (يقلدها) .. ماشي شغلك
ألفضولي .. و عندما توفاه الله تعالى، في صبيحة يوم من الأيام، و
غسلوها، و كفنها، و ساروا بها مسرعين في دروب المدينة.. (تسمع
أصوات تردد، لا إله إلا الله محمد رسول الله).

رجل من الناس: ألا تذهب معنا يا (حربه) ؟ هذه الزوجة زوجتك . هل
نيت ؟

- ♦ (مصححا) كانت.. كانت زوجتي يا صاحبي..
- ♦ و لكن، هل فكرت، ماذا يمكن أن يقول الناس عنك غدا ؟ إنه لا يعقل أن نمشي نحن مع الجنازة، وتغيب أنت..
- ♦ دعني لحالي يا صاحبي، ولا تفسد علي نشوتي وسعادي..
- ♦ عجبا. أ أنت الآن سعيد يا (حربة) ؟
- ♦ نعم، لأنني أعرف. أخيرا أعرف، ولأول مرة أعرف. إلى أين هي ذاهبة زوجتي. أعرف يا صاحبي، و مطمئن تماما، وسعيد أيضا، وخائف أن أذهب معها.
- آه.. يوم كانت تذهب للنشاط، كانت تذهب وحدها، و اليوم، و هي ذاهبة إلى القبر، فإنكم تريدون أن أذهب معها.. (يضحكون)
- (يغير لهجته) إياكم أن تصدقوني، فما هذه الصورة إلا رواية. رواية خيالية طبعاً، و ما أظنها يمكن أن تقع في مملكة رب العالمين. أنا زوجتي الصالحة، لا يمكن أن تخرج إلا مرتين في العمر، و قد كانت إلى داري، أما الثانية، فستكون إلى دار البقاء..
- زوجتي يا أحباب الله، ليس في نيتها أن تموت الآن و لا بعد الآن، و هي امرأة محترمة جدا جدا..
- وهذه امرأة أخرى (مشيراً إلى صورة كبيرة يخرجها من الصندوق) اسمها خيتي جميعه، وهي امرأة كاملة الأنوثة، شكلاً و مضموناً. حرفتھا مثل حرفة زوجتي؛ زوجة محترفة و كفى. إنها ربة بيت، و لكن البيت ليس بيتها، و ليس بيتي أيضا. إنه لصاحب الدار، و صاحب الدار من أكبر التجار.. أما هذه المخلوقة - زوجتي - فهي لا تملك إلا ظل هذا

الجدار، والجدار على وشك أن ينهار. وهي أم أولاد، فيهم الذكر و الأنثى والخنثى، وفيهم البار و العاق والشحاذ والسراق، و لكن هؤلاء الأولاد لا يحملون اسمها..

و هذه امرأة أخرى (مشيرا إلى عروسة من قصب يخرجها من الصندوق) إنها تلد الأولاد و البنات، فتصدر الذكور إلى الخارج، و تبعث بالبنات إلى البيوت، ليشغلن خادومات.

آه. وهذه جارها أم الخير.. (مشيرا إلى عروسة أخرى) و إن سألتهم عن أحوالها فهي والحمد لله بألف خير. إنها تتخذ الولادة مهنة، و هي مهنة مربحة جدا. إنها تكتري أولادها للشحاذين صباحا، و تستعيدهم مساء كل يوم، و معهم تقبض مصروف كل يوم، والله في خلقه شؤون.. أما هذه المرأة الطويلة العريضة.. تأملوها من بعيد فقط، فهي امرأة مسترجلة، باطنها أنثى و ظاهرها رجل، أو العكس، لست أدري. ضيعت أنوثتها، و ما رجحت من الرجولة إلا الوهم. لها في البيت زوج، أو زوجة، لست أدري، و هي تقتسم معه كل شيء، نعم، كل شيء، حتى شفرة الخلاقة. إنهما يستعملانها بالتناوب، و هذه تنتهي الديمقراطية في عصر المساواة والتناوب، أليس كذلك يا أحبابي؟

آ.. (و هو يكلم ما في الصندوق) أخرجني و لا تخافي، و لا تخجلي، فقد انتهى عصر الخجل و الحياء.. ها ها تسألون عن هذه الأنثى؟ (يخرج من الصندوق دمية أخرى) ماذا أقول لكم؟ هي امرأة من عامة النساء، إشتغلت خاطبة، و هي اليوم عاطلة، أو معطلة. و من حقها أن تكون عضوا في جمعية المعطلين، و أن تعتصم مع المعتصمين. لقد كانت

خاطبة قديما ؛ أي في سالف العصر و الأوان ، عندما كان الزواج زواجا ،
و كان رباطا مقدسا ، وعليه الملح والسر ، و كانت المرأة عورة - حاشاكم
- و لكنها اليوم - و ماذا يمكن أن أقول لكم عن هذا اليوم - و عندما
تغيرت الدنيا ، فقد غيرت المهنة .

رجل من الناس: و ماذا أصبحت يا عمنا حربة ؟

♦ ماذا أصبحت ؟ هنا قالت (آخر) يا عباد الله ارحمونا، ولا تسألوا

كثيرا، و ما كل شئ يمكن أن يقال.. (تتعالى أصوات الاحتجاج)

نعم ؟ تلحون ؟ طيب . لقد أصبحت يا أحبابي في الله سمسارة..

رجل من الناس: سمسارة .

♦ و تاجرة أيضا يا صاحبي. تاجرة في أقدم تجارة أخرجت للناس.. يكفي

.. (يضحكون)

وهذه جارتنا (التايكة) و أن تسمع بالتايكة خير من أن تراها، و

هي تشتم و تسب، و تلعن لك أسلافك الكرام، ولا تفعل في حياتها إلا

هذا. لها في فمها - يا أولاد الحلال - بقية أضراس و أسنان ، و لها أيضا ،

لسان أطول من ثعبان ، و أدق من شفرة الخلاقة ..

رجل من الناس: هذه المرأة عمتك يا حربة ؟

♦ لا، بل هي حماتي.. (يضحكون)

أما هذه المرأة العجوز فهي أمي رحمة القابلة. أمي و أمكم و أم

الناس أجمعين، إنها امرأة من العهد القديم، و هي من الحيوانات البشرية

المنقرضة، أو التي في الطريق إلى الانقراض. لقد كانت شاهدة على كل

♦ و الله صدقت يا حربة. إن الهم - بالنسبة للمرأة المحترمة - هو أن يكون لها في رأسها.. شعر، و ألا تكون صلعاء.. (يضحكون)

♦ (و هو يخرج دمية أخرى من الصندوق) أما هذه الحيزبون الشمطاء - و أنا لا أقصدك أنت يا لالا - فهي أم إبليس، أما اسمها فهي (أمي الهرنونية). نعم ، أمه التي ولدته، و ربته ، وأرضعته ، و علمته فنون الشيطنة و علومها . لقد راكمت الساعات و الشهور و الأعوام، و كلما زادت شهرا ازدادت مكرا، و كلما زادت ليلة ازدادت حيلة، و كلما زادت سنة، ضيعت أسنانها و أضراسها، وزادت إلى رصيدها في اللعنات لعنة..(يتزل من فوق ملصق به صورة امرأة)

رجل من الناس : ما هذا يا عمنا حربه ؟ هل أصبحت السماء تمطر بالألواح ؟

♦ هذه ليست لوحة، و لكنها امرأة يا ولدي. امرأة معلقة في الهواء، وهي واحدة من المعلقات السبع.. المعلقة الأولى معلقة في ملصق، و هي هذه الشقراء (الكاورية)، و الثانية معلقة في هذه المجلة الملونة (وهو يمسك بمجلة) وهي مجلة للموضة و الأصباغ، أما الثالثة المعلقات فهي امرأة الساطور، و هي اليوم معلقة على جبل المشنقة. يقول البعض إنها مظلومة، و يرى البعض الآخر غير هذا، أما نحن فنقول الله أعلم، و الرابعة تجدها دائما في زي من الأزياء، و يقولون عنها عارضة أزياء، أما الخامسة فهي زعيمة و متكلمة محترفة، و هي معلقة في منبر أو في جبل ميكروفون، و السادسة طيارة، معلقة بين السماء و الأرض و بين

السحاب و التراب، و السابعة مجنونة، معلقة من شعرها في زاوية أو في ضريح من الأضرحة..

رجل من الناس: و أسعد كل السعداء، هو من لا يكون قلبه معلقا، بامرأة معلقة، أليس كذلك يا عمنا حربة ؟

♦ نسال الله تعالى ألا يعلق قلوبنا بسحابة صيف.. (يضحكون) و..

(يخرج دمية أخرى من الصندوق) هذه المرأة العمياء، هل تعرفون من تكون ؟ إنها عرافة أو شوافة أو قارئة، و بعض الناس يسمونها (بصارة). من حقكم أن تتعجبوا، و أن تقولوا، كيف تكون (الشوافة) شوافة، و هي لا تشوف - و (البصارة) بصارة، و هي لا تبصر، وقارئة الفنجان و (الكارطة) أمية و لا تقرأ ؟ و أقول لكم، صدقوا ما ترون، و لا تصدقوا ما تسمعون، و أكثر الأسماء دائما، بلا معنى، أو أنها كلمات تسبح عادة ضد المعنى..

رجل من الناس: و قارئة الفنجان يا عمنا حربة، هل تشرب القهوة أم تشرب الشاي ؟

♦ تشرب (الماحيا) يا ابن أخي، و ماء الحياة أحسن من ماء المائة (يضحكون)

♦ (و هو يفتش في الصندوق، و يخرج منه دمية (باربي) أما هذه الغادة الفاتنة، و التي زادتها الأصباغ جمالا، و زادتها الأضواء فتنة وبهاء فهي راقصة. نعم، هي راقصة في ملهى، و حسنا فعلت، لأنها اختارت أن تلهو مع الزمن اللاهي، و أن تبيع الوهم بالدرهم، و أن ترقص على إيقاع الساعة الحمقاء والبلهاء..

رجل من الناس: قل يا عمنا حربة، ماذا يمكن أن تكون هذه الدنيا سوى أنها ساعة ؟

◆ نعم، هي ساعة مدورة، وهذه الساعة رقاص كبير و رقاص صغير،
و أسعد كل السعداء هو من يعرف كيف يرقص و متى يرقص و
لمن يرقص.. (يضحكون) أما هذه المرأة المحتجة.. (و هو يشير
إلى امرأة تقف في الحلقة)

امرأة من الناس:

◆ تكلمي أنا يا حربة ؟

◆ لا، و لكنني أتكلم عنك، فهل لديك مانع ؟

◆ أبدا أبدا

◆ هذه المحتجة المسميمة أوهمت نفسها - أو أوهموها - إنها، وهذه
الخرقة وحدها، يمكن أن تكون شريفة و نبيلة، وأن تتقرب من الله
تعالى. لقد نسيت أن الله خلقها عارية و سافرة، و لو شاء لخلقها
بحجاب أو لكساها صوفا، كما كسا النعاج و الأبقار..

حدثنا الكاتب قال.

— 6 —

(يدخل الحكواتي و هو يصفق)

هذا هو عمنا (حربة) .. ولقد قالوا إن اسمه الحقيقي هو حرباء، وهو ممثل ومقلد وحكيم شعبي كما تعرفون، و في جلد أي ممثل لابد أن تنام الحرباء. تنام فعلا، أو توهمنا فقط إنها نائمة ؟ لست أدري. وحرباء المجنون يكون دائما، بألف زي و بألف لون، وتغيير الألوان من أقدم عادات الإنسان، وهي ضرورة من ضرورات الفن، وهي لعبة بريئة من ألعاب الفنان..

هذا العجوز الحربائي، لبس لبوس الناس، كل الناس، ولم يلبس لباسه أحد. عاش حياتهم معهم، يوما بعد يوم، و لحظة بعد لحظة، و لم يعيش حياته معه إلا ربة بيته للا يطو. لقد تغير شكله، آلاف المرات، ولكن فكره وروحه لم يتغيرا أبدا، ولو لمرة واحدة. لقد ظل محتفظا بضحكته الساخرة والمأكرة، و بشغبه ولعبه و بعشه و شطحه و رده و برؤيته (العمشاء) لهذا العالم الأعور، ولهذا الدنيا العمياء والصماء والخرساء.. لقد حزم أمتعته، في مساء يوم من الأيام. وضعها في قفته العتيقة، و ألقى نظرة

وداع على الساحة والناس، وهمهم بكلمات وعبارات، لم يتبين أحد معناها، ثم عاد إلى بيته، وهو يجز ساقه. (يمشي حربه في مكانه وظهره إلى الجمهور) ومن ذلك اليوم لم يغادر عتبة بيته.. (يخرج)

أما صديقنا ميمون، وجارنا في هذه الساحة، فكان أكثرنا شبابا وحماسا، وكان أقدرنا على ارتياد آفاق الحلم والجنون.. (ميمون وهو داخل بقعة ضوء. يجلس إلى جانب الصندوق، وقد ارتدى بدلة أنيقة) أنا.. حكواتي عمومي، وعمنا (حربة) بمثل عمومي، وشدوان الذي كان مغني عمومي، و ميمون أخونا مثلنا، كاتب عمومي. إنه يكتب ويقرأ، أما نحن.. نحن لا نكتب ولا نقرأ، إلا العلامات والرموز والإشارات طبعاً. نقرأها يا عباد الله وهي طائفة في السماء.. ومع ذلك فإنه يشبهنا في كل شيء، فهو حكواتي مثلي، ومقلد مثل (حربة) ومنشد مثل شدوان..

في هذا المكان كان يجلس. عفوا.. (مصححاً) لم أنتبه إلى أنني قد استحضرتة بخيالي. إنه يجلس كما ترون.. حدث الناس عنك يا ميمون..

ميمون: أنا ميمون.. (مشيراً إلى الصندوق) وفي هذا الصندوق العتيق تختبئ حبيبتي ومولاتي. هي ليست امرأة من بنات حواء. ليست أنثى، وإن كانت تجر وراءها تاء التأنيث. هل عرفتموها؟

♦ ماذا؟ أتقول هي حمامة؟ (لواحد من الجمهور) لا، يا سيدي لا

..

♦ نعم. قلت حية رقطاء؟ ماذا أقول لك؟ هي فعلا حية تحيا،

ولكنها ليست ثعبانا، وليست أفعى تتلوى..

♦ قرءة ؟ (يضحك) و متى رأيت يا صاحبي كاتبا يصاحب قرءة ؟

يمكن أن يصاحب جنية أو شيطانية إلهام و لكن القرءة لا..

(يفتح الصندوق برفق، ويطل داخله) إنها نائمة. يا الله، ما

أجلها عندما تكون نائمة.. (يدخل يديه داخل الصندوق) باسم الله.

باسم الله. تعالي إلى وكفاك نوما هذا اليوم..

(يخرج آلة كاتبة عتيقة جدا . يضعها برفق على الصندوق

ويجلس أمامها).

هذه هي محبوبتي، فكيف وجدتموها ؟ أليست هي الأجل بين كل

الجماليات ؟ لقد أسعدتني زمنا طويلا ، ورافقتني في مسيرة عمري . لقد

أسميتها (عربية)، وهي فعلا جارية عربية. كنت أكلمها فتمع، وأنقر عليها

فتعزف، وألمي عليها فكتب.. (يضرب على الآلة الكاتبة ضربا موقعا.

يزداد إيقاع الضرب سرعة وحدة) وأمطرت الأرض أوراقا، و ملأت

السماء أوراقا، وحشوت الملفات أوراقا، وأغرقت المكاتب أوراقا.. (يلقي

بالأوراق في الهواء، ورقة بعد أخرى)

هذه شكوى.. شكوى العبد الضعيف إلى السيد العظيم في المقام

الأعلى، وقد كتبها خادمكم ميمون، نيابة عن كل الضعفاء والمقهورين

والمظلومين والمتشردين. لقد رميتها في الهواء، وطارَت مع الطيور في السماء.

ألمستها ليد الريح، لتفعل فيها ما تشاء..

و هذه دعوى، وهذا تظلم، وهذا استعطاف، و هذا تذكير، و هذا

تنبيه، و هذا توبيخ، وهذا عتاب، وهذا التماس، وهذا طلب للعمل، وهذه

استقالة من العمل، و هذا التماس للعودة إلى العمل، و هذه رسالة إنسان
حائر يسأل: ما العمل ؟

وهذا وعد، و هذا وعيد، وهذه صرخة صارخ، وهذه تراويل و

أناشيد

آه.. (يشم ورقة) هذه رسالة حب ووصال وهذه .. (بأسف)
إخبار - كتابي - بالطلاق و الانفصال لقد عشت مع الناس أسمع نبضهم،
وأكتب وأكتب . أسود الأوراق البيضاء، وأتمنى أن زول شئ من سواد هذه
الأيام السوداء. وبنفس هذا القلم، وبنفس هذه الدواة و المداد، و بنفس هذه
الآلة، و على نفس هذه الأوراق يلتقي الناس بالناس، يلتقي كل شئ بأي
شئ. تلتقي الضحكات والدمعات والدعوات واللعنات و الحكمة و الجنون
و يلتقي الصادقون و الكذابون والظالمون والمظلومون والحقيقيون
والمزيفون..

سنوات طويلة وأنا أكتب وأقرأ، وأعيش بين الكتب والناس،
وأصفق للخطباء و الأدعياء والزعماء، وأهتف مع الهتافين المخدوعين.
ضيعت أيامي، وضيعت مدادي ومداد رفيقي، وما هذا المداد الذي يسيل
على أوراقى إلا دمي، أو هو شئ من دمي..

و كتبت.. كتبت.. كتبت، ولم أفعل ذلك وحدي، ولكن بالتواطؤ
مع شريكى (عربية) (مشيرا إلى الآلة الكاتبة) .. نعم كتبت، ومازلت
أكتب.. (ينقر على الآلة بشكل حاد وعنيف) كتبت حتى.. تعبت،
ومللت، وقررت أن أتخلى عن هذا الركن المتروى، وأن أغادر الساحة
والمهنة، وأن أنشر هلوساتي في صحيفة أو في كتاب.

و قبل الرحيل، قررت أن أحكي، مثل صديقي الحكواتي، فما رأيكم ؟ أحكي بكل جسدي، وليس بجروفي وكلماتي فقط، ولتكن هذه الليلة القمرية، هي ليلة الحكيم الأخيرة. إذن استعدوا، لتعيشوا معي حلقة المثقف..

أنا.. والناس..

- 7 -

ما رأيكم، لو أحدثكم عني ؟ فأنتم بلاشك لا تعرفون أي شئ عني. و من خلال شخصي الضعيف والخفيف ستعرفون أصحابي ورفاقي، و ما أكثرهم في ساعة الرخاء والهناء، وما أقلهم في ساعة الجذب والعناء، و سترون هذا العالم الغريب بعيوني الغريبة. بعيون كاتب عمومي محترف، ومنحرف أيضا..

وأبدأ بصديقي الاشتراكي و أقول، هل تعرفون، دام عزكم، رفيق عمري ودربي الاشتراكي ؟ إنه لا يريد أن يشركني في رزقنا، و لا يريد أن يقتسم معي إلا الفقر و البؤس و الأحلام و الأوهام و الكلمات و الشعارات؟

وذاك الرأسمالي. سمعتم عنه بلاشك ؟ أخذ ماله و مالي ، فانتفخ بطنه ، و تضخم سيجاره، وتحسنت أحواله، و ساءت معه أحوال الناس جميعا وأحوالي ..

آه. و هذا الفقيه الكبير (و هو يشير إلى رجل في الحلقة) إنه لاشئ كبير فيه إلا لحيته المخضبة بالحناء، فهي تأكل من وجهه، كما يأكل

الظلام من ضوء النهار. إنه يسمح لنفسه أن يجتهد، و أن يفسر، و أن يؤول، و أن يحلل، و أن يحرم، و لاشئ أسهل من لعبة التحريم. وهو يمنع عني أن أجتهد أيضا. ليس مثله طبعاً، و لكن بشكل مختلف، و في الاختلاف رحمة، و لكنه لا يرحم اختلافي. إنه يقسم الناس إلى طائفتين لا ثالث لهما، فنحن عنده إما أهل الجنة أو أهل النار، قلة منا — يا سادة يا كرام — من المؤمنين و الباقي كله من الكفار..

و هذا الفوضوي.. (ينتقل إلى رجل آخر) إنني أعترف بفوضاه، و أقول هذا حقه، و تلك حياته، يفعل بها وفيها ما يشاء، و لكنه — بالمقابل — لا يريد أن يعترف بنظامي. إنه يفرض على القبح و الصخب، وهو يقول، هذا العصر عصر الصخب، و يفرض علي الضجيج، و هو يقول هذه هي موسيقى العصر، و الموت الموت لأعداء العصر. إن هذا الوقت وقت الجنون و الحرق و العنف و ليس وقت الطرب.. (يقترب شرطي من الحلقة) و ذلك الشرطي، صاحب البدلة و المسدس..

الشرطي: ماذا به الشرطي يا ميمون ؟

♦ إنني أدفع له ثمن الأمن، و لا أعطيني إلا الخوف، و متى كان الخوف بأجر، أو كان له — يا أصحابي — ثمن ؟ متى ؟ (يقترب عسكري و هو يحمل بندقيته على كتفه)

و هذا العسكري، هل رأيتموه ؟

الجميع:

♦ رأيناه..

♦ إنني أشتري له البندقية من قوت عيالي، و أعطيه بدلته و عربته ودبابته،
فيترك أعدائي في سلام، و يلتفت إلى. يترك حراسة الباب، و يقتل من
في الدار. ينقلب علينا، مثل الزمن، و يسمى هذا الجرم انقلابا. و هو
في أحيان أخرى يسميه أسماء أخرى. يسميه .. يسميه ..

واحد من الناس:

يسميه ثورة يا ميمون..

♦ نعم، وإنني أتساءل. ألا تكون الثورة التي يعني، هي أنثى الثور، و نحن
المساكين لا ندري؟ (يضحكون) (ينظم إلى الحلقة شاب يتأبط كتباً
و مجلات" و ذلك الرفيق.. ليس أنت بكل تأكيد، رفيق الدرب
والطريق، نختار معا نفس الوجهة و نفس الطريق، فيركب هو، و أمشي
أنا، و يصل وحده، و لا أصل معه، و أسأله، كيف يحدث هذا يا..
صاحبي، فيقول..

الرفيق: أنا جاءتني الفرصة فانتهزتها، و ما النجاح إلا فرصة
عابرة، يقبض عليها القابضون، و يضيعها المضيعون.. يا ويلي.. (و هو ينظر
بعيدا) ماذا به هذا اليساري ؟ إنه يؤذن في الناس بغير أوان، و يهتف بأعلى
صوته أن.. يحيا اليسار، و حيا على ال.. يسار، و لكنه لا يمشي إلا في
اليمين، فلماذا ؟ و ما الحكمة في هذا ؟ إنه ، وهو أمام الناس يدخن أسوأ
أنواع التبغ ، و يشرب أسوأ أنواع النبيذ ، و لكنه ، في الفنادق الأخرى ،
يعيش حياة أخرى . آه و آه. ما أسعده و ما أتعسنا. نحن نعيش نصف حياة
أو ربع حياة، أو نفحة من حياة، وهو يعيش حياتين كاملتين، و يخرج للناس

بوجهين، و يتكلم بلسانين. و يربح مع الصاعدين ومع النازلين و مع المؤمنين ومع الكافرين..

و هذه المرأة المزوقة.. (يشير إلى امرأة في الحلقة) إنها تطالبني بحقوقها الأخرى، مع أنني لا أعرفها، و ما هي ابنتي و لا أختي و لا هي زوجتي و لا مطلقتي. لقد أخذت مني كل شيء، و ما تركت معي أي شيء. لا شيء إلا الجلد الذي يكسو عظمي ، و هذا الرداء الذي يستر عورتي ..
لقد أعلنت علي الحرب، وقالت..

المرأة: أنت خصمي وعدوي. اعطني حقوقي و حريري و أطلق يدي.. (يضحكون)

♦ وسألتها - بكل احترام طبعاً - عن جرمي و ذنبي فقالت ..

المرأة: ذنبك أيها الرجل.. أنك رجل..

♦ الله أكبر، و صافي يا للاً ؟

♦ و صافي.. (بدلال)

♦ و ذلك الإنسان الآخر، في الوطن الآخر، قال لي، كلمني بلغتي، و سألتها ما هي لغتك، فقال، بلغته طبعاً..

رجل من الناس: هي الإفريقية أيها الأمي..

♦ آهاه .. هي الإفريقية ؟

♦ كلمني بها، و إلا، فوالله و بالله و تالله، لن أسمعك، و لن أعرفك و لن أفهمك، و لن أعتبرك من الناس المتحضرين.. (يضحكون)

و قال لي غيره. و هذا واحد منهم. ماذا قلت لي يا صاحبي ؟

واحد من الناس: أنا ؟ (يهين نفسه ليمثل) قلت لك، كن مثلي في كل شيء، نسخة أخرى مني. أخرج من جلدك، ولا تكن نفسك، وإياك إياك أن تكون مختلفا عني، و اعلم يا هذا، أن المختلفين معي متخلفون، و أن كل الآخرين متأخرون، و أن كل العالم هو هذا، و ليس وراء هذا العالم إلا الأدغال و الأحرار و الصحارى القاحلة و الموحشة. هل فهمت ؟

♦ أظنني فهمت و ذهبت إلى المهرج ليضحكني، فأضحك الناس علي، و لم يضحكني، و أشقاني فعله هذا، وعذبي وأبكائي. و عرفت أن قناع المهرج أصبح يستخدمه المقنعون، و أن المهرج الحقيقي قد مات. رأى ما لا يسر القلب و مات..

واحد من الناس: صلاة الجنازة و هو رجل.. و استعنت بالحامي عبد المعين، و قلت له، يا أيها المحامي احمني من ظلم المحتالين، فضحك ضحكة خبيثة وقال..

رجل من الناس: أنت مغفل ، والقانون يا ولدي لا يحمي المغفلين ..

♦ و سألت الناس، بمن أستعين أيها الناس ؟ فقالوا. الوا ..

الجميع: استعن بالله وحده..

و ذهبت إلى القاضي لينصفي، فوجدته رجلا منسفا، و فعلا يا إخوتي، فقد نسفني القاضي نسفا، وقضى علي بالضربة القاضية..

(يكلم نفسه، و قد بقي وحده داخل بقعة ضوء ضيقة) يا أيها الآخر الذي يسكنني، لم يبق لي من الناس إلا أنت. ضيعت كل أهلي و صحي، أو ضيعوني.. أنبئي يا ضميري، أي الطرق أختار ؟

الصوت الخارجى: اختر أسوأ الطرق، تصل إلى أحسن المدائن..

- ◆ غير ممكن..
- ◆ إن أقصر الطرق، و أضمنها، و أسلمها كلها، هي الطرق المعوجة و الملتوية.
- ◆ إنك ترعبي بحديثك هذا..
- ◆ و أنت تتعبي باستقامتك التي لا معنى لها..
- ◆ ساحك الله..
- ◆ ستلاحقك الاتهامات و اللعنات من كل الجهات، و ستخسر الكل، و لن تربح أي أحد
- ◆ لا يهمني إذا خسرت العالم و ربحت نفسي..
- ◆ المصيبة يا أنا، أنك خسرت العالم، و سوف تخسر نفسك. سيأتي غدا من يخرجك من ملتك، و يقول لك، أنت كافر. أنت مارق و زنديق. أنت مرتد، لعنة الله عليك و على كل أصحابك من الجاهلين..
- ◆ لا لا لا..
- ◆ دمك حلال، و زوجك عليك حرام، و أبناؤك حرام..
- ◆ يا رب العالمين، ماذا جرى لهذه الدنيا ؟ و ماذا أصاب الناس ؟
- ◆ و ستجتهد لتكون مواطنا صالحا، و سيخرج لك من يتهمك، و يقول لك. أنت خائن.. (بلهجة حادة)
- ◆ أنا ؟
- ◆ نعم أنت. إنك تأتي بأفكارك من أعداء الوطن، و ما أنت إلا صدى..
- ◆ و لكن، قيم الحق و الجمال و الخير ليست ملكا لأحد، و في طريقها نلتقي كلنا، سواء نحن الذين هنا أو أولئك الذين هناك..

♦ يخيل إليك فقط..

♦ آه، و ماذا سيقولون عني غدا، إذا تمسكت بأفكار الأجداد وحدها ؟

♦ سيقولون إنك رجعي و سلفي و ظلامي و منحط و.. ميت مع وقف التنفيذ..

♦ و إذا توضأت، و ذهبت إلى أقرب مسجد في الحي، و صليت مع المصلين، ماذا يقول عني القائلون ؟

♦ سيقول المتقولون، ما هكذا تكون الصلاة يا أخانا في الله..

♦ ماذا أسمع ؟

♦ و كل صلاتك باطلة، و كل دعواتك باطلة، و كل سعيك باطل، و كل عمرك باطل أيضا..

♦ أرجوك يكفي.. يكفي..

♦ هذا العصر عصر النساء، و ستتهمك النساء إنك رجل، و ستجد نفسك مضطرا لأن تدفع التهمة عنك، و أن تقول بأعلى الأصوات، و الله و بالله و تالله ما أنا برجل، و ما أنا إلا (خنثى)..

♦ سأتخلى عن شاربي و عن لحيتي..

♦ شئ جميل، و ستكون صورتك مقبولة، و لكن..

♦ ماذا ؟ أمازال في الأمر لكن ؟

♦ سيتهمك إخوانك الملتحون لأنك بلا لحية..

♦ إذن، سأعيد اللحية إلى وجهي..

♦ و هل فكرت جيدا في ضربيتها ؟

♦ ضربيتها ؟

- ◆ ستصبح مشبوها، و يضعون لك ملفا، و تصبح حركاتك وسكناتك محسوبة، و كل هذا لأنك تحمل في وجهك لحية..
- ◆ سأهجر هذه الأرض، و أعيش في بلاد الغربية، فهي أرحم من بلادي، و الناس فيها أرحم من أهلي و من عشيرتي..
- ◆ من قال لك هذا ؟ ستكون متهما أيضا، لا لشيء يا أخي، إلا لأنك لست كباقي الناس أشقر..
- ◆ سأصبغ شعري..
- ◆ لا يكفي..
- ◆ سأصبغ جلدي
- ◆ لا يكفي
- ◆ سأصبغ فكري..
- ◆ و لكن، هل فكرت، عندما تعود إلى بلدك، ماذا يقول الناس عنك، و أنت أشقر ؟
- ◆ ماذا يقولون ؟
- ◆ سيقولون إنك ابن زنى و ابن حرام، هل فهمت يا.. ولد الحرام ؟
- ◆ (يضحك. تعود الإضاءة كاملة و يعود معها الناس) هذا هو أنا، و ذلك العالم الذي حدثتكم عنه، هو عالمكم وعالمي، و عالم كل الناس في هذا الزمن. سأجمع صوري و أفكاري و أضعها في مخطوط كتاب، و أذهب للسيد الناشر، و أقول له، أنشر هذا الكتاب، ستدخل التاريخ من أبوابه الواسعة، و سيسألني باحترام كبير، بأي شيء تريدني أن أنشر لك هذا الكتاب أيها المؤلف ؟ و أقول له - بوقار العلماء وتواضعهم -

بمنشارك الكبير و الخطير طبعا ، و هل تملك أنت غيره أيها النجار ؟
عفوا.. أيها النشار.. عفوا مرة أخرى، أيها الناشر.. (يضحك في ألم) ثم
سأذهب بعد ذلك إلى الموزع و أقول له. خذ بدني وروحي، و وزعني
على إخوتي و أبناء جلدتي. وزع عليهم حماقاتي و هلوساتي و شطحاتي
وعذاباتي.. (يضع الآلة الكاتبة في حقيبتها اليدوية) لقد انتهت الحلقة،
و انتهى الكاتب العمومي، و انتهت هذه الساحة، و انتهى عصر الحكيم.
إنني عائد من حيث أتيت. ذاهب و معي (عربية).. لن أقول لكم
وداعا، لأننا حتما سنلتقي، ليس في هذه الساحة و لكن.. في فضاء
الأوراق المسودة بالكحل.. (يدير ظهره للجمهور و يمشي. يخفت
الضوء شيئا فشيئا إلى أن يختفي كليا..)

حدثنا المرشد قال ..

— 8 —

(يعود الضوء. يدخل الحكواتي، و هو يلتفت خلفه)

لقد ذهب هو، وعدت أنا. رحل صديقنا الكاتب العمومي، بحثا عن نفسه. و من يدري، قد يكون وجد نفسه - كلها أو بعضها - وجدها في حارة أو زقاق أو عند مفترق طرق، و لكن نحن.. نحن لم نجده، ولم نعثر عليه.. لقد ابتلعه الزحام، و تحلل ظله في بحر الظلام، و ذاب جسده الضئيل والنحيل بين الأجسام. هنا. في هذا المكان العاري كان دكانه.. دكانه الذي ليس دكانا، و لكنه حلقة أجساد حية. كان له كرسي خشبي وطاولة متهالكة و مظلة عتيقة.. مظلة تقيه حر الشمس صيفا، ولا تمنع عنه ماء السماء، إذا أمطرت السماء ماء، في الخريف وفي الشتاء.

هنا. كانت حلقة تعقد كل يوم، من مطلع الشمس إلى مغربها، و قد تعودنا أن نسمعه ونراه، والناس حوله يتكلمون، و يفعلون، و يشتكون، و هو.. يسمع و يكتب. كانوا يحكون له الحكايات الجديدة، وعندما كان يكلمني عنها كنت أقول له:

♦ والله يا صاحبي، هذه الحكايات أغرب من كل الحكايات التي حكيت. حكيت أنا، و حكى أبي و جدي، و حكى كل أسلافي الحكواتيين من قبلي..أعترف لكم.صاحبي الكاتب كان أعقل مني. هجر هذه الساحة قبل أن تهجره، و غادر مهنته قبل أن تغدر به، وهكذا هو الإنسان الشاطر دائما، يعرف متى يدخل المداخل الخطيرة، و متى يخرج منها، و متى ينسل إلى الأشياء، و متى يسل شعرته الدقيقة والرقيقة، من طينها ومن عجيناها..آه.. أما صديقنا الآخر، طارق بن طارق، فماذا أقول لكم عنه ؟

من الأحسن أن أدعه يقدم نفسه بنفسه، فهو أعرف بذاته ومهنته. أليس كذلك؟ انتظروا إذن لحظة. انتظروا حتى يحضر.. (ينادي) أدخل يا طارق، و لا تنتظر حتى تطرق الباب، فما لهذه الساحة باب و لا لها بواب. (يدخل طارق بن طارق، و هو في زي المرشدين السياحيين)

♦ هل رأيتم ؟ إنه في كامل أهنته. طبعاً، زي المرشد السياحي ليس هو زي المغني ولا زي الحكواتي و لا زي الكاتب العمومي و لا زي (لمسيح).. قل يا طارق، كيف تشتغل، و ماذا تقول لبنائك ؟ طارق:ماذا أقول لهم ؟ أقول.. (يضحك) تعال يا مسيو. من هنا.و تعالي أنت يا مدام، وانظر يا سنيور، وانظري يا سنيوريتة. هذه هي بلادنا. ساحرة وفاتنة.إنها متحف حي يا مستر. مفتوح طوال الأسبوع و على مدى الشهور والدهور..تأملوا هذا (الكراب) إنه لا يبيع الويمكي ولا الكونياك، ولكنه فقط يبيع الماء. غدا ستعودون إليه، عندما تجف ينابيع الماء، ولا يعود أماننا وفينا إلا الضمأ، وتكون كل الحروب القادمة حروبا من أجل هذا

السائل الذي يسمى.. الماء.. (يضحك) هي نكتة بلاشك؟ و تأملوا هذا الرجل المجنون. إنه لا يربي الأبقار ولا الدواجن، ولكنه يربي الأفاعي والثعابين. خذوا له صوراً كثيرة، من جميع الزوايا، و بكل الأوضاع الممكنة. خذوا له الصور، قبل أن تندموا غداً، فصاحبنا هذا من الكائنات المرشحة للانقراض والفناء..

و هذا.. صديقنا معروف الإسكافي، أما ذلك الذي بجانبه فهو رفيقه وجاره.. جاره درويش الحافي، وهو حمال محترف، ليس له عربة، وهو عربة نفسه، وليس له بهيمة و هو بهيمة من يسأجره..

و هذا هو شعبان القراد. إنه وصاحبه القرد لا يفترقان أبداً، و لكم أن تتساءلوا، من فيهما يكون المبدع الحق، و من عساه يكون الفنان ؟ هذا القرد الممثل والمقلد، أم هو صاحبه ومولاه شعبان ؟

و هذا ؟ .. (مشيراً إلى رجل يفترش الأرض و أمامه مجموعة من الأعشاب البرية) ماذا أقول لكم عنه ؟ إنه صيدلي و طبيب وجراح. إنه يداوي بالأعشاب جميع الأمراض، النفسية والعضوية والعقلية. و كل هذا بهذه الحبة الصغيرة (يأخذ بيده حبة) اسمعوه جيداً عندما يقول.

العشاب: الحبة السوداء دواء كل داء..

♦ تسألون عن هذا الرجل ؟ إنه يمسك بيده حزمة مفاتيح. إنني أراه لأول مرة، و ما أظنه إلا أحد الملاكين. يمكنني أن أقرب منه، وأن أسأله.

♦ يا هذا الرجل ماذا تعمل ؟

الرجل: إنني أعمل بوصية والدي المرحوم..

♦ جميل جداً، وماذا كانت وصية والدك المرحوم ؟

- ♦ لقد أوصاني أن أفتح متجرا يا صاحبي..
- ♦ و هل فتحت متجرا كما أوصى الوالد ؟
- ♦ ليس متجرا واحدا، ولكن كل المتاجر التي ترى. إنني أفتحها بهذه المفاتيح التي تري. أفتحها ليلا والناس نيام..
- ♦ أنت سارق إذن ؟

♦ خانك التعبير يا صاحبي. إن ظالم الظالمين ليس ظلما، وسارق السارقين ليس سارقا، وأنا - يشهد الله - لا آخذ إلا حقي..

الحكواتي: هذا هو صاحبي طارق بن طارق. كان سعيدا بحاله و بحكاياته التي يحكي، و لكنه مع الأيام وجد نفسه يتغير. لقد أغراه السائحون بالهجرة، و حرضوه على الهروب من الساحة، و من هذا الوطن كله. لقد زينوا له الانفلات من هذه اللحظات، و حرضوه على الهروب من القبور و القصور و الحصون و من تاريخ الناس الذين كفوا عن الحياة. كانت مهمته أن يحكي للسائحين عما حدث و كان، في سالف العصور والأزمان. حدثهم عن السادة الموتى، فحدثوه عن الأحياء، و كلمهم عن الموت فكلموه عن الحياة. قال لهم، وهو يدلهم على المآثر الباقية:

طارق: يا سادة يا كرام.. هذا التراب، وهذه الأحجار، هو كل ما تبقى من أولئك السادة والحكام. لقد سادوا ثم بادوا، و ذهبوا في طريق الفراغ و ما عادوا. إن الأحجار - لو تعلمون - أكثر خلودا من القواد والأمراء و من السادة الكبار..

الحكواتي: كان يحكي لهم عن الغائبين، وظلوا يحكون له عن الحاضرين. كلمهم عن الذين كانوا، و نسي التفكير في ذاته، وكيف يمكن أن يكون،

اليوم وغدا وبعد غد. لقد بشروه بوجود ممالك أخرى جديدة، بها مال و جمال وكل ما يمكن أن يتصوره الخيال، وكان ضروريا أن يثور على نفسه، وأن يكفر بماضيه، وأن يتمرد على حاله، وأن يدير ظهره لأهله، وأن يرمي بالجلباب الأبيض والبلغة الصفراء، و بالشارة النحاسية التي على صدره (يشخص طارق ما يقوله الحكواتي)..لقد تخلى عن عمره القديم وقال لنفسه:

طارق: يا ويلي.. الآن فقط أدركت - بعد فوات الأوان تقريبا - أن المرشد في حاجة لمن يرشده.. يا أيتها الأمم الأخرى، في القارات الأخرى، أرشديني للفلاح والصلاح ولك أجر عظيم من رب العرش العظيم. أرشديني إلى الطريق التي تؤدي إلى الحياة وإلى الغنى وإلى المعرفة وإلى الجمال وإلى الكمال، وإلى الهناء و الارتواء وإلى الإنتشاء.. أرشديني.. أرشديني.. (يخرج وهو يجري - ظلام)

أنا الغريب أو أنتم الغرباء؟

— 9 —

(يعود الضوء، و إذا نحن في فضاء مدينة حديثة. طارق بن طارق، وهو في بلاد الغربة، يتأمل المكان حوله في اندهاش واستغراب. ترسم الأضواء، المتغيرة والمتلونة، ملامح هذا المكان الجديد..)
طارق: يا الله. أين أنا؟ و مع من أنا؟ هؤلاء الناس.. (يحاول أن يلاحق أشخاصا وهمين) كنت أعرفهم هناك، ولكنهم هنا، لم يتعرفوا علي، فمن الذي تغير فينا؟ هم، أم أنا؟

هذه مدينة ملعونة، و هي تحيا بلا كبد و بلا قلب. إنها عملاقة عمياء و صماء، تمتد من الأرض إلى السماء. إنها تمشي و تمشي بخطى مرعبة، و تخط في الأرض خبط عشواء، و مأساتي في مديتكم — يا أهل هذه المدينة القاتلة — أنني ضئيل الحجم و الوزن، و أنني لا أثقل أرضا، و لا أسد فضاء. قلبي يتعبني، و خيالي يخونني، و عشقي للجمال يورطني، و يضيق فكري عن كل ما جرى، و يجري..

ولكن، في الليل يختلف كل شيء (يصبح الفضاء شاعريا) و تصبح هذه المدينة مدينة أخرى. تكون أقرب إلي، و أكون أقرب منها، و أعرفها،

و تعرفني، و لا تنكرني، و لا ترفضني. أنظروا، إنني أمشي في هذه الشوارع وحدي. أمشي فيها و لأحد معي إلا ظلي، و لا يفسد علي نشوتي إلا دوريات الشرطة. إنها تعيدني إلى حلمي الطبيعي، أو إلى مادون حلمي الطبيعي.. (يسمع صوت سيارة الشرطة فيخبتني)

(يخرج من مخبئه) ذهبوا، و لكنهم سيعودون. قلت، في هذا الليل أستعيد جسدي، و أمشي، و أسمع وقع أقدامي، و أتنفس، و أحس دفء أنفاسي.. يا الله. ما أغرب هذه المدينة، إنها أمانة التي ترضعنا، و تطعمنا، و التي تجعلنا نتجرع شراب العلقم و شراب السم. اللعنة عليها و على كل المدن التي ليس لها قلب..

يا أيها الليل، يا سلطان الحبشة و السودان، أنا مثلك تماما، في ظلامك أصبح سلطان نفسي، و يصبح هذا الفراغ مملكتي، و أستعيد استقامتي، و أتنفس بشكل جيد، و ألتقي بالصعاليك من رعيتي، و أقول، هؤلاء أهلي و إخواني، و أحبيهم من بعيد (يقترب من مجموعة من الشباب) و يردون التحية.. عمتم مساء. مساء الخير. هيللو، ثم أقترب منهم، و أشاركهم طعامهم و شراهم. باسم الله (يأكل) و أحس إن هؤلاء الغرباء لم يعودوا غرباء، ربما لأن الليل - وعكس النهار تماما - هو أبو الجميع؛ أبو السعداء و الأشقياء، أبو الأغنياء و الفقراء، أبو الحمقى و العقلاء، أبو الأتقياء و السفهاء..

في ظلام الأرحام نلتقي، و في ظلمة القبر نلتقي، و لكن ضوء النهار يفرقنا.. بعد قليل سيولد فجر يوم جديد. ستخرج الشمس الفضاحة، و ستعربني، و تظهر للعيون تعاسي و ضآلي. ستدب الحياة في هذه الدروب

النائمة، و سيعم الضجيج و الصخب، و ستسحقنا الأحذية، و سأذوب في الزحام، و أتلاشى، و لا أعرف نفسي.. (صوت السيارات، و ضجيج المنبه) آه.. سامح الله النهار، ليس لي في هذه المدينة بيت، و هذا الليل بيتي، و ليس لي في ظلمة الليل عنوان، إلا هذا القمر الذي في السماء، و هذه الساحة المضاء بأضواء البلدية، و المفتوحة على السماء، و على القمر و النجوم و على الفضاء اللامحدود..

و لما ضاقت بي المدينة - على رحابتها - و لم أجد مأوى، نمت في الحدائق، و في محطات القطار و تحت القناطر، و لم أنتبه يوما إلا و أنا وسط قبيلة من الفجر، و أصبحت واحدا منهم.. (يدخل وسط مجموعة من الفجر، و يشاركهم الرقص على قارعة الطريق)

يا الله. هؤلاء الناس لم ينكروني، و لم يسألوني عن لغتي و عن ديني عن وطني. لقد فهموا قولي، و فهمت قولهم، مع أننا تكلمنا بلغتين، و ليس بلغة واحدة. لقد استعنا بالإشارات فتفاهمنا. لم يلتفتوا للوني. رحبوا بي، و أشركوني طعامهم و شراهم، و أسمعوني بالغيتارة أشجى الألحان، و رقصت معهم، و عربدت، من مغرب الشمس حتى.. مطلع النهار. قلت لذاتي، هؤلاء حقا إخوتي، و قبيلتهم قبيلتي، و مذهبهم في الحياة مذهبي، و نادوا على واحدة من نسائهم، و زوجوني بها. ألبسوني هذا الرداء السلطاني (يشخصون ما يقول) و قال قائل منهم:

صوت خارجي: نحن لنا في كل ليلة عرس، و أنت عريس هذه الليلة..

♦ الله يكثر خيركم (يرتدي البدلة) و وضعوا على رأسي هذا

التاج و قالوا:

صوت خارجي: لقد توجناك بتاج الزوجية، و جعلناك واحدا منا. خذ.
كل خبزنا، و اشرب خمرنا، و كن أختانا الذي لم تلده أمتنا..
و لم أسأل عن اسم زوجتي، و لا عن عنوانها. و لأن كل شيء قد
تم في لمح البصر، فإنني لم أتمكن من تمثيل ملامح وجهها، و لهذا، فإنني كلما
التقيت غجرية إلا وقلت لها.. أنت زوجتي ؟
امرأة من الناس: لا لا.. أنا عازبة..

♦ إذن كوني زوجتي.. (تتركه وحده و تمشي) ما هذا ؟ ألا
تريدين أن تكوني زوجتي ؟ لقد ضيعت أم أولادي . ضيعتها
يا أصحابي، و أنا الآن أرمل..

كان هذا في الليلة الأولى، أما في الليلة الثانية فقد حضرت مؤتمرا
للفجر، و وقف الجميع و جلسوا، و اتفقوا و اختلفوا، و غضبوا و هدأوا، و
رددوا الشعارات غناء، و رتلوه ترتيلا، ثم ترجموا الكلمات حركة ورقصا،
و في الأخير خرجوا بقرار، و صفق الجميع، و ذهبوا للنوم فجرا. أما أنا فقد
ذهبت أبحث عن غجريتي الضائعة.. يا نساء العالم. من كانت فيكن زوجتي
فلتتقدم، و سوف تفوز - إن شاء الله تعالى - فوزا عظيما، فأنا هو ذلك
(ولد لحلال) الذي تبحث عنه كل أنثى..

(يغير لهجته) كان هذا في الليلة الثانية، أما في الليلة الثالثة فقد
تجمعت جموع الفجر في أكبر ساحة بالمدينة. جاءوا في كامل زينتهم، و أنا
أيضا ارتديت هذا الزي (يغير زيّه) إنه هدية من كبيرهم الذي زوجني..
زوجني زواجا كرنفاليا لا يمكن أن يقع مثله إلا في الأحلام و الأساطير.
ووضعت هذا المنديل على رأسي، و وضعت هذه الوردة الحمراء في جيب

سترتي، و سرت مع السائرين (يسير في مسيرة ترفع الأعلام و اللافتات و تردد الأغاني و الأناشيد الحماسية و الشعارات) لقد غنوا، و غنيت، و لم أدر ما قالوا و لا ما قلت. لقد ردّدوا شعارات نارية، و ردّدتها معهم، وإن كنت لم أدرك معناها، و ماذا يهمني في معنى الكلمات، و قد إقتنعت بهم ؟ (أضواء تتراقص، و أعلام و لافتات تداعب الريح و صوت صفارات البوليس) ما هذا ؟ إن هؤلاء الناس يحيون عرسا، عرسي أنا، و هل يمنع البوليس في هذا البلد إقامة الأعراس و الليالي الملاح ؟ سبحان الله. ظننت هذا لا يحدث إلا عندنا.. و غنيت مع المغنين، و رقصت مع الراقصين، و شربت مع الشاربين، و صرخت مع الصارخين، حتى بح صوتي، و لم أكن أعرف ما أقول، صرخوا فصرخنا، و هتفوا فهتفنا، و هذا كل شيء.. يا الله. كان الغناء احتجاجا، و أنا لا أدري. نعم، ولكنه - والشهادة لله - كان احتجاجا جميلا و نبيلًا، و كان الرقص رفضا و سخطا، و ما كنت أعلم ذلك..

(يساق، و من معه، إلى الاعتقال) أوقفونا كلنا. منعونا من الغناء و من الرقص، و وضعونا في السيارات، و اقتادونا إلى المعتقلات.. (و هو جالس إلى الأرض) هنا فقط، على هذا الإسفلت البارد، عرفت كل شيء. كان معي في الزنزانة زعيمهم الذي زوجني، و طلبت منه أن يتكرم، و أن يقوم بمجهود إضافي، و أن يشرح لي الأمور. قل يا سيدي، أصلحك الله و أصلح بك البلاد و العباد، ما هي مطالبكم في هذا الوطن ؟ كبير العجـر: مطالبنا في هذا الوطن هي ألا يكون لدينا وطن..

♦ ها.. إن الرجل يمزح بلاشك..

♦ و أن تكون كل الأوطان أوطاننا، ندخلها متى نشاء، و نخرج منها كيف نشاء..

♦ هذا شئ جميل، و لكن، هل هو ممكن ؟

♦ لقد رأينا أن كل الحروب تنشأ من هذا الوهم القاتل و المدمر..

♦ أي وهم يا سيدي ؟

♦ هذا الذي يسمى الوطن..

♦ سبحان الله، و متى كان الوطن وهما ؟

♦ لقد رأينا - نحن معشر الغجر - أن كل الحروب الكبرى تنشأ دائما

من الأوهام الصغرى، و صدقني إذا قلت لك، إنه ليس في الأوهام

وهم أخطر من هذا الوهم الذي يسمى.. الوطن..

♦ الوطن وهم ؟. لا يا سيدي لا..

♦ هذه الأرض ضيقة كبيرة، فيها أسياد و فيها رعية، و الدفاع عنها

ليست مهمتنا نحن الرعية، و لكنها مسألة تخص الأسياد وحدهم. إن

من يملك يدافع عما يملك، و من يحكم يدافع عن حكمه، أما نحن،

فما خلقنا إلا لنأكل و نشرب، و نغني و نرقص، و نمارس الحب،

مع من نحب، جهرا و في واضحة النهار.. تذكر الساعات الجميلة

وحدها، و حاول أن تنسى كل ما عداها، و قل معي لتسقط الحرب،

و لتسقط العدوان حيثما كان..

♦ يا سيدي.. يؤسفني أن أخالفك الرأي..

♦ خالفني كما تشاء، والمهم يا صاحبي ألا تخالف نفسك..

- ◆ إنه لا يعرف حقيقة الأوطان إلا من كان مثلي أنا؛ فقيرا بئيساً
وكان رصيده في الدنيا وطنه، وطنه فقط ولاشئ غيره..
- ◆ يا صاحبي الذي لا أعرف اسمه و لا من حيث أتى، نحن حين
أحبيناك أحبيناك أنت. نعم أنت، و ماسألناك عن وطنك، لأن
تلك مهمة أخرى، و تلك المهمة الأخرى ليست مهمتنا..
- ◆ مهمة من هي يا سيدي ؟
- ◆ مهمة البوليس يا صاحبي.. أنت مثلي لا تملك إلا جسدك،
فالتفت إليه و صالحه، واحمله في البر و البحر، و في السماء إذا
استطعت. وطنك الحق يا صاحبي، هل تعرف أين يكون؟
- ◆ نعم أعرف، إنه يقع خلف هذا البحر..
- ◆ لا لا.. وطنك الحق هو قبرك.. ..
- ◆ كنت مخدوعاً بينكم..
- ◆ قد يكون، ولكنك كنت سعيداً معنا، أليس كذلك ؟ إن أسعد
كل الناس - يا صاحبي - هم الحالمون و الخياليون وهم
المخدوعون بإرادتهم. إياك أن تندم على ساعة فاتت، خصوصاً
إذا كانت ساعة فرح..
- ◆ لقد أكلت معكم، و شربت، و رقصت و غنيت، و طرت عالياً
و حلقت، و نسيت نفسي و أهلي، و قلت أنتم إخوتي،
طريقكم طريقي و عالمكم عالمي، و تزوجت امرأة، و كان
زواجي وهماً، و كانت فاتتي شبحاً من الأشباح..
- ◆ آه.. (يضحك) و هل هذه الأيام الملاح يا صاحبي إلا أشباح ؟

- (يسمع ضجيج بالخارج، و تتحرك المفاتيح في الأقفال الصدئة.
- يفتح باب لا نراه، فيدخل منه الضوء..) لقد جئتم ؟ كنت أعرف ذلك،
لأن براءتي واضحة، وهي أكبر من أن تخفي على عين مبصر..
- ♦ يا صاحبي، ما عاد في هذه المدينة من يبصر.. إلا نحن..
- ♦ أنتم ؟ ومن أنتم ؟
- ♦ نحن إخوانك و أصهارك العجزة.. (يقتاده رجال لا نراهم)
- ♦ إلى أين تأخذوني ؟ أترك أنت يدي. إنك تؤلمني. من حقي أن
أعرف، إلى أين تذهبون بي.. (تدفع به الأيدي التي لا نراها
- إلى الخارج. ظلام)

الحوار أم الاستنطاق ؟

— 10 —

(يعود الضوء، وإذا بطارق على كرسي الاستنطاق. يجلس تحت الضوء. يدور الكرسي باتجاه الأصوات التي تأتيه من الأركان الأربعة)
صوت خارجي: من أنت ؟

♦ لقد جئت هذا البلد و لاشئ معي. كان من المفروض أن تكون لي في جيبى بطاقة تعريف، و لكنني جئت بلا جيب.. إنني نكرة، ذرة ضائعة و تائهة..

إنني أملك النجوم، و ليس لي سماء، و يلفني الموج، و يغرقني الماء، و تغوص قدمي في الرمال المتحركة، و أعرف إنني أتحرك في صحراء..
الصوت الخارجى: ماذا لديك ؟

♦ لدي عضلات للإيجار، فمن يطلب ؟ أنا عبد في زمن الحرية، و سقط متاع في زمن الإنسان، فمن يشتري ؟
الصوت الخارجى: من أنت ؟

لست من الجن و لا من الملائكة. لست راهبا و لا قديسا. لست عرافا و لا ساحرا. لست سارقا و لا مجرما. لست منكم و لست منهم، و لكنني محسوب على قومي..

في زمن مضى، كنت أحسبني رساما، و عندما تأملت، و تعذبت، و
سافرت، و تغربت، و مت و انبعث، اكتشفت إنني من الممكن أن أكون
شاعرا. و أردت أن أكون حكيما، و لكنني لم أكن، لأنني لم أجد في
الأسواق إلا (الحماق)

الصوت الخارجى: من أنت ؟

♦ أنا عبد من عبيد الله..

♦ من أية أرض أنت ؟

♦ من أرض الله

♦ من الذي أتى بك إلى هنا ؟

♦ مشيئة الله..

♦ هل تبحث عن أحد ؟

♦ أبحث عن إخوتي في الله..

♦ ألا تخاف شرطة الحدود و الجمارك و خافرات السواحل؟

♦ أخاف الله..

♦ من هم أحبابك في هذا البلد ؟

♦ كل أحباب الله..

♦ و من هم أعداؤك ؟

♦ كل أعداء الله

♦ و ما هذا الكتاب الذي معك ؟

♦ إنه كتاب الله..

♦ ما اسمك ؟

♦ طارق بن طارق بن عبد الله..

♦ و متى ولدت ؟

♦ يوم أراد الله..

♦ و كيف تريد أن تموت ؟

♦ كما يشاء الله..

♦ و لماذا لونك أسمر ؟

♦ لا تسألني أنا..

♦ و من أسأل ؟

♦ اسأل الله..

♦ إنك لا تتحدث بنفس لغتي..

♦ نعم، و لا أنت تتحدث بنفس لغتي..

♦ إذن لا يمكن أن نتفاهم ؟

♦ بلى.. يمكن أن نتفاهم..

♦ و كيف ذلك ؟

♦ بمشيئة الله..

♦ أنت أصولي.. أنت إرهابي.. أنت متعصب.. أنت متحيز.. خذ

حقيقتك و عد من حيث أتيت.. (تلقى به أيادي خفية إلى الأرض، ثم

ترمي إليه بحقيبة عقتية).

♦ هذه الحقيقة ليست حقيقتي..

(من مكان آخر، ينبعث صوت آخر، يخاطبه بهدوء و تسامح

هذه المرة)

♦ يمكنك أن تنصرف يا سيدي..

♦ يا سيدي ؟ (مستغربا)

♦ اذهب إلى حيث تشاء، وابق معنا إذا شئت، فأنت حر في بلاد

الحرية. يمكنك أن تجوع، و أن تضما، فأنت حر. سر في الشوارع

لابسا أو عاريا، فالأمر لدينا سيان، و أنت في كل الأحوال حر

كالريح.. أعبد الله أو أعبد الشيطان. كن معنا أو مع الآخرين،

فأنت حر. ويمكنك أن تضع حدا لحياتك، متى تشاء، وكيف

تشاء، وأن تنتحر، في الليل أو في واضحة النهار، فأنت حر..

♦ أعوذ بالله..

♦ بالسلاح الأبيض أو بالسلاح الأسود، فأنت حر..

♦ ما هكذا أرى الحرية يا عباد الله، و ما هكذا ينبغي أن تكون..

♦ أنت سيد نفسك، ورب أعمالك و أفعالك، و قدرك أن تكون

حرا مع الأحرار. اسمع يا هذا. يمكنك أن تكون شادا أيضا، فنحن

متسامحون. نعم. إن الإنسان لا يملك إلا جسده وهو حر فيه..

♦ يا ويلي. ما هذا الذي أسمع ؟ - و يمكنك - إذا أردت طبعاً - أن

تقتني المخدرات، و أن تتناولها، و أن تدمر نفسك بنفسك، فأنت

حر..

♦ (يضحك بألم) نعم. وماذا غير هذا ؟

♦ ويمكنك أن تغير جلدك و لونك و.. جنسك أيضا (ضحكة

ماكرة) تغيره بالسهولة التي تتغير بها قميصك و طربوشك. نعم،

وأن تصبح امرأة فاتنة، في لحظات، فأنت حر. و إذا أردت ألا

تكون رجلا ولا امرأة، فيإمكانك ذلك، وأنت حر. المهم هو أن تدفع. إن لم يكن باستطاعتك أن تدفع دفعة واحدة، فيمكنك أن تختار الدفع بالتقسيط، فأنت حر، ونحن في بلادنا نعمل بنظام التقسيط المريح..

(يضع راحتيه على أذنيه و يصرخ منفعلا)

♦ لا لا.. يكفي . أريد أن أستيقظ. ردوا إلى صحتي، وخذوا سكركم.. هذا ليس حقيقة أبدا، وما هذا الذي أرى إلا كابوس مزعج. نعم. أيقظوني من نومي. صبوا علي الماء المثلج. اصفعوا وجهي بقوة، و أنقذوني من وهمي.. حرروني من هذه الأصوات التي تحاصرني.. حرروني منها. أريد أن أعود لنفسي وذاتي.. هذا العالم ليس عالمي، و هذا الزمن ليس زمني. أرجعوني إلى طفولتي، وردوا إلي براءتي و عذريتي..
(فجأة، نسمع أذان الفجر)

خاتمة الاحتفال..

سلطنة الملايكه و

- 11 -

(تتغير الإضاءة، ليستعد المكان أجواء الساحة الشعبية. يعود الحكواتي، و نخرج من المحكي إلى المعيش)

الله أكبر.. (و كأنه يخرج من كابوس) أين نحن ؟ و من نحن ؟
(يتأمل المكان حوله) حمدا لله. أننا ما رحلنا إلا بخيالنا (يضحك) و هل يملك الحكواتي إلا خياله ؟

هو الفجر إذن، وقد دقت ساعة الفراق. بعد قليل ستشرق الشمس من جديد، وتدب الحياة في الدروب والأزقة والحارات، و يغيب الحكواتي القدم. أغيب أنا، ويظهر الحكواتيون الجدد..

(تسمع صرخة طفل يولد) عجباً. إنه يبكي، مع أنه قادم إليكم، و ماذا أفعل أنا، و أنا الراحل عنكم؟ أهو قدرنا يا أهلنا، أن نلتقي بالدمع، و أن نفرق بالدمع، و أن نفرح بالدمع، و أن نبكي بالدمع ؟

(يسمع بكاء نسوة و صراخ، قادمين من منزل بعيد) لا إله إلا الله، ولا يدوم إلا وجه الله. هذا الميت العاقل، عرف متى يموت. و من أجل

أن يدخل ذلك الوليد الجديد، فإنه لابد أن يخرج هذا العجوز القديم، هذه هي أصول لعبة الوجود. كلنا نعرفها، و لكننا لا نتقبلها بسهولة..

(تسمع زفة عرس) و هذا عرس.. هو عرس يحاور مأتما، و ما الفرق بين هذا العريس و ذاك العريس ؟ الفرح معجل، و الحزن مؤجل، و كل شئ نخافه و نكرهه مؤجل أيضا. مؤجل إلى إشعار آخر..

(تتعالى أصوات البنائين بالصلاة والسلام على النبي)

و هؤلاء هم البنؤون. و هم يبنون بعد هدم، و لست أدري إن كانوا يعلمون أو يجهلون ما يفعلون.. لقد شرعوا في تغيير ملامح هذه الساحة، و ما العمر، يا أهل الله، إلا فسحة، و ما هذه الحياة إلا ساحة، و داخل هذه الساحة تنتصب ساعة، تلسعنا عقاربها المسمومة، و لكن لا نرا .. غدا، لن تجدوا في هذا المكان دكان الكاتب العمومي، و لا حلقة الحكواتي و لا حلقة لمسيح، و لن تروا أخانا المرشد السياحي بجلبابه الأبيض و طربوشه الأحمر وبلغته الصفراء، و لن تسمعوا آهات و تأوهات المغني الشعبي..

(يقوم بجمع أشياءه و ملابسه المبعثرة هنا و هناك. يدخلها الصندوق، ثم يغلقه بقل، و يعلق المفتاح على صدره)
انتهت مهمتي، وانتهائها سادتي، ينتهي عصر أو عصور. يموت تاريخ، و يولد تاريخ آخر..

(من بعيد تأتينا أصوات وهي تنشد)

هاذي ساعة من ساعات الله

يحضر فيها النبي رسول الله

(يجلس القرفصاء على الصندوق)

و في ختام هذه الحلقة، ماذا أقول لكم عني ؟ ما أسعدني أو ما أشقاني ؟ أنا صاحب مأساة إخوتي ، و أصدق كل المآسي هي التي تضحك و لا تبكي .. أنا في هذه الساحة ضيف.. ضيف والبيت ليس بيتي. أنا عابر سبيل. سأمضي أنا، ويبقى الطريق بعدي.. إننا نمشي، والوقت يمشي، وكل الأشياء، فينا ومن حولنا، تمشي و تمشي و تمشي ..

(تضيق الإضاءة حتى تصبح في حجم بقعة، لا تضيء إلا

الحكواتي) و أخيراً، أسألكم، هل حقاً تعرفون من أكون ؟

أنا الضاحك الباكي. أنا الظالم الشاكي. أنا الطباخ الجوعان. أنا الخياط العريان. أنا الساقى الضمآن. أنا الملاك والشيطان. أنا السيف والبهلولان. أنا الغافي اليقظان. أنا الصاحي السكران.

ماذا ؟ لم تعرفوني ؟ لقد حاولت أن أعرف بنفسي، ولكنني فشلت.. هل تعرفون. أنا نفسي أجهل نفسي..

(تتسع بقعة الضوء قليلاً. يقف، و ظهره إلى الجمهور، وكأنه

ذاهب إلى مكان ما).

أنا التائه الهادي. أنا الساحر العادي. أنا المتمرّد الراضي. أنا الواصل المبتدى. أنا الضحية والمعتدي. أنا الزاحف الطائر. أنا الواقف العاثر. أنا الواصل المنفصل..

(تتعالى أصوات البنائين بالصلاة والسلام على النبي، و تحجب

صوت الحكواتي.

تضيق بقعة الضوء شيئاً فشيئاً. يتعالى إنشاد المنشدين، متقاطعا
مع أصوات البنائين)

هاذي ساعة من ساعات الله
يحضر فيها النبي رسول الله
(ظلام تام)

عبد الكريم برشيد — الخميسات —

السبت — فاتح يوليو 2000

﴿ فهرست ﴾

□ الحكواتي الأفيصر : دلالات الاحتفال في عالم اللعب بالأقنعة :

تقديم : الدكتور عبد الرحمن بن زيدان

- 5. المرجعية التراثية لمسرح عبد الكريم برشيد
- 10. نفس واحد بأنفاس درامية متعددة
- 16. حكاية ساحة أم حكاية كاتب ؟
- 19. لعبة الدمى والأقنعة في الاحتفال
- 23. خاتمة الحكوي : مأساة في مأساة

□ احتفال مسرحي في نفس واحد

- 27. شخصيات الاحتفال
- 28. استهلال
- 32. حكاية ساحة
- 38. كنا في البدء خمسة
- 45. حديث لمسيح (المهرج)
- 51. سوق النساء
- 60. حدثنا الكاتب قال
- 65. أنا.. والناس
- 74. حدثنا المرشد قال
- 79. أنا الغريب أو أنتم الغريباء ؟
- 87. الحوار أم الاستنطاق ؟
- 92. خاتمة الاحتفال
- 96. الفهرست



د. عبد الكريم برشيد

- * درس بالمعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي بالرباط.
- * حاصل على دبلوم في الإخراج المسرحي من أكاديمية مونبولي بفرنسا.
- * الدكتوراه في المسرح من جامعة المولى إسماعيل بمكناس (2003).
- * مستشار سابق لوزير الثقافة.
- * مندوب جهوي وإقليمي لوزارة الشؤون الثقافية.
- * عضو نقابة المسرحيين المغاربة، والأمين العام لنقابة الأدباء والباحثين المغاربة.

إذا كان عنوان المسرحية هو «الحكواتي الأخير» فهذا يعني وجود حكواتين سابقين يرتبون في المسار الإبداعي المسرحي في طليعة البدايات التي أرخ بها برشيد بدايات الفعل السردي لديه، ودشن بها اهتمامه بأشكال الحكاية في كل مسرحياته.

... الكتابة الدرامية في مسرحية «الحكواتي الأخير» محاطة بتراث شعبي مغربي أعطاهها وظيفته جمالية.

... إنها آخر كلمات الحكواتي الأخير وآخر صوت يتكلم، لكنها البدايات الأولى لميلاد حكواتي آخر لزمان آخر من أجل حكي آخر».

من تقديم د. عبد الرحمن بن زبر

من إصدارات المؤلف

- عنترة في المرايا المكسرة
- سالف لونجة
- الزاوية
- منديل الأمان
- ابن الرومي في مدن الصفيح
- الناس والحجارة
- عطيل والخيول والبارود
- فاوست والأميرة الصلعاء
- امرؤ القيس في باريس
- اسمع يا عبد السميع
- التمرود في هوليوود
- خيطانو المجنون
- الرجال والقيامة
- ياليل ياعين
- موال مسرحي...

إديسوفت **EDISOFT** **إديسوفت**
Edition

24، زقاق القاسبي الزموري الأحباس - الدار البيضاء
24, Rue El Kadi Zemmouri - Habous - Casablanca
الهاتف: 022 44 91 08/48 - الفاكس: 022 44 46 43
Email: edisoft@menara.ma

الثمن 22.00 درهما

ISBN 9954-406-67-0



9 789954 406670